



مصطفى محمود

# الغالبون

الطبعة الثامنة



دار المعارف

## XXXXXXXXXXXX ( ) XXXXXXXXXXXXXXX

أنا الدكتور م . داود دكتوراه في جراحة المخ والأعصاب من جامعة برلين .. أخطو الآن نحو الستين من عمري وإن كانت المرأة التي تطل على من ركن الدولار تقول غير هذا .

تجاعيد ... وعظام بارزة .. وأنامل معروفة .. وبشرة مغضنة .. وخد هضم .. وشعر أشيب .. وأجفان وارمة .. وعينان حمراوان تطل منها نظرة مرتاعة . تلك النظرة المرتاعة دائماً .. كأني كهل في الثمانين بخطو خطوته الأخيرة نحو النهاية .

لا .. بل هو ذلك السر ..

ذلك السر الرهيب الذي ظللت أحمله بين جنبي طيلة هذه السنوات وأحمل معه تلك المسئولية الجسيمة ..

وإلى متى .. ؟ !

لقد جاء الوقت .

نعم .. جاء الوقت لأتكم وأسطر في هذه الأوراق خفايا هذه السنوات  
الرهيبية التي عشتها .. وأكشف ذلك السر .

وليعذرني من تقع في يده هذه المذكرات اذا وقع على اصطلاح لم  
يفهمه .. وليغفر لي السرعة التي أكتب بها تلك الأوراق فما بقي في العمر  
فسحة ..

وهأنذا أكتب الآن وأنا أنهت وأشعر بدبيب الموت يدب مع كل  
نبضة .. لكأنما الفناء سوف يلحقني قبل أن أفرغ من كشف هذا السر  
الرهيب .. ولوحدث ذلك .. ياإلهي .. من يدري ؟ .. ربما عاشت  
الإنسانية أجيالا أخرى من الظلمات قبل أن تتجلى تلك الحقيقة المينة فلا  
يكشفها أحد .. وتظل الحياة سراً مستغلماً ملغزاً إلى الأبد .

ودعوني أبدأ .. فالقصة طويلة .

ولأبدأ من البداية ..

من عصر ذلك اليوم البعيد من ست سنوات .

• • •

في شتاء عام ١٩٥٨ في يوم أحد غائم رطب في غرفة الكشف بالعيادة  
وقد شربت قهوتي كالمعتاد حينما طرق الباب أول زائر ، شاب نحيل صفراوى  
النظرات ، ذو وجه شاحب .

كدت أقول له من اللمحة الأولى الشكوى التي يشكو بها .. وأصف له  
الدواء دون حاجة إلى فحص .

كان وجهه صفحة مكشوفة معروفة تنبئ عن مصران غليظ ومرارة وسوء  
هضم .. ذلك الثلاثي المألوف في بلادنا .

ولكنه لم يشك بأى شكوى من هذه الشكاوى وإنما قدم لي رويشتة عليها  
تحويل من طبيب معروف .. وعلى الرويشتة قرأت خمس كلمات :

اشتباه ورم في المخ .. للفحص .. والعلاج .

ورم في المخ ؟

ما الذى جعل الطبيب يفكر في احتمال ورم بالمخ ؟

وسألته عن شكواه فقال إنه يعاني من صداع مزمن وزغللة في العين ..  
أعراض عادية يمكن أن توجد في ألف مرض ومرض .

سوء الهضم يمكن أن يؤدي إلى صداع .. الإسهال المتكرر .. فقر الدم ..  
الجيوب الأنفية .. الأضرار التالفة .. ضغط الدم .. عدم استخدام  
النظارة في القراءة .. إدمان الخمر .. القلق النفسى .. كل هذه أسباب  
يمكن أن تؤدي إلى صداع وزغللة . ما الذى جعل الطبيب يفكر في ورم  
بالمخ ؟

هذا تشخيص خطير لا يصح فيه الأخذ بالشبهات .

ولم يكن أمامى وقت لتسائل وتأمل .

ومضيت في الفحوص المألوفة .. كشف دقيق لقاع العين .. صورة أشعة  
للدماغ .. قياس ضغط للسائل الشوكى .. وإجراء رسم كهربائى للمخ .  
ومن خلال منظار قاع العين مضيت أتأمل العصب البصرى ..  
الشبكية ، وكانت النظرة الأولى مؤكدة لظنى .. لم تكن هناك أى علامة  
من علامات ورم المخ وارتفاع ضغط السائل السحائى .. كان كل شيء يبدو  
طبيعياً .

وتشجع المريض وهو يرى الانتسامة على وجهى وسألنى :

- كيف الحال يا دكتور .

- خير .. كل خير .. أنا لا أرى أمامي أى شىء .

- متشكر .

وسكت لحظة ثم عاد يقول فى اضطراب :

- ولكن الدكتور كان عنده اشتباه .

- أى اشتباه ؟ أنا لا أرى أمامي أى مرض مريب .. وعلى أى حال

سأكشف عليك بالأشعة لتطمئن .

وبينا كانت المريضة تجهز غرفة الأشعة ، كنت أكتب ملاحظاتى

كالمعتاد فى ورقة الكشف .. وكان يحاوب عن أسئلتى وقد زال التوتر من

نبراته .. وتراخت عضلات وجهه المنقبضة .

- اسمى راغب دميان ، مهندس كهرباء أقيم فى ١٥ شارع ابن الوليد

بحدائق القبة ، أعمل حالياً فى وحدة أبحاث الراديو فى قصر العيني .

- متزوج ؟

فأجاب بابتسامة وهو ينظر إلى دبلة الخطوبة فى يده اليسرى :

- فى الطريق .

- منذ متى وهذه النوبات من الصداع تعاودك ؟

- منذ شهرين .

- كيف بدأت أول نوبة ؟

- كان ذلك فى ليلة أحد .. وما زلت أذكر اليوم والساعة وكأنها حدثت

الآن .. كنت فى طريق عودتى من السينما والليل شديد الظلام والقمر فى

خسوف كلى والأولاد يخبطون على الصفيح .. هذه العقائد الخرافية الشائعة

فى الأحياء البلدى .. وأنا أتلفت حولى فى شرود أفكر فى الفيلم .. وأنظر

حولى فى البيوت والمآذن والحقول فيخيل إلى أنها مرسومة بالفحم وأنها غير

حقيقية .. وأرى الدنيا كلها بعين حائلة وسنانة فيخيل إلى أنها وهم ..

خيال .. وأن ..

وكنت أكتب مايقوله باختصار حينما سمعته بسكت فجأة .. ورفعت

وجهى لأراه يميل فى ضعف وهو يغطى عينيه .

وبعد لحظات كان فى غيبوبة تامة .. يتنفس بحسرة ويتهته .. وقد

اتسعت حدقتاه كأنما يعانى فرعاً هائلاً لا حد له .. وتشنجت أطرافه وتصلبت

كأعواد من حديد .

وبينا كنت أقوم بإسعافه .. لاحظت أن أطرافه تسترخى شيئاً فشيئاً ..

وأن عينيه تنغلقان فى هدوء .. وأن فمه يتحرك لتخرج منه كلمات واضحة ..

لم تكن كلمات عربية .. ولكن كلمات أجنبية .

ولم أجد صعوبة فى اكتشاف أنها لغة أسبانية .

كان يتحدث فى غيبوته بلغة أسبانية سليمة .. وكان يتكلم عن صديق له

اسمه « دون سباستيان كامبلو » مضارع فى حلبة ثيران ، وكان يبدو أنه على

وشك البكاء .. وظلت نبراته تخفت حتى أصبحت همساً وفحيحاً مكتوماً ..

ثم سكت .. وتخفض وجهه بالدحرج .

وكنت أنظر إليه فى ذهول .. وقد شلت غرابة المفاجأة ذهنى وبعد دقائق

رأيتة يفتح عينيه .. وينظر إلى كأنه عائد من عالم آخر وتدرجياً بدأت تظهر

فى نظرتة إشراقة الإدراك .

ثم رأيتة يمسك يدي فى رقة معتدراً .. وفى صوته رجفة ..



- لقد رأيت بنفسك .. إنها النوبة .

والتقط أنفاسه ثم عاد يقول بصوت باك :

- إنها تفاجئني في أى مكان .. بدون إنذار .

وراح يفرك يديه في استسلام .

وسأله :

- هل أخذت شهادتك من أمبانيا ؟

ونظر إلى في دهشة لسؤال المفاجئ :

- لا ..! أخذتها من مصر .. أنا لم يسبق لى أن سافرت خارج القاهرة

وقلت مندهشاً :

- ألم تتعلم الأسبانية ؟

وأجاب في دهشة أكثر من دهشتي :

- أنا لا أعرف حرفاً واحداً في الأسبانية .

ثم أردف في ارتياب :

- لماذا تسأل هذا السؤال ؟

- لأنك طوال النوبة كنت تتكلم الأسبانية .

وبدا عليه أنه لا يفهم ما أقوله .. ونظر إلى مذهولاً .

كان من الواضح أنه لا يذكر حرفاً واحداً مما قاله في أثناء غيبوته

وجلست أدون ملاحظاتي عن هذه النوبة العصبية الغريبة .. وقد تحرك في

فضول لا حد له .

لم يكن ذلك الذى أراه أمامى .. حالة صداد .. ولا حالة ورم بالمخ .

وإنما حالة غامضة لا عهد لى بها :

في ذلك اليوم لم أستطع أن أكشف على أى مريض آخر .

كان ذهنى قد توقف عند تلك الحالة الغريبة .

وكانت أفكارى تدور وتلور ثم تعود لتتركز عند راغب دميان ، وفي

البيت لم أستطع أن آكل لقمتى دون أن أفكر .

وحينما ألقبت بجسمى آخر الليل على الفراش ظلت مفتوح العينين أفكر

وأعيد النظر في هذه الحالة الغريبة .

هل يمكن ؟

هل يمكن أن يجيد الإنسان لغة لم يتعلمها .

وإذا لم يكن هو الذى يتكلم ..

فمن كان يتكلم ؟

وكيف يوجد اثنان في جسد واحد ؟

هل هى الخرافة التى يسمونها المس الروحى ؟

غير معقول ..

هذه تخاريف لا يمكن أن يقال في عصر الذرة .

لم أكن أعتقد في شيء اسمه أرواح ، فأنا بحكم دراستى أعلم أن كل

شيء حقيقى في الدنيا يجب أن يكون قابلاً للإدراك بالحواس .. أما ما لا يرى

ولا يُسمع ولا يُشم ولا يُحس ولا يُعقل فهو ببساطة غير موجود .

الحياة نظام .. وقوانين .. ومقدمات .. ونتائج .. وأسباب ..

ومسببات .. لا مكان للتخمين والحدس ..

لا مكان للتخريف .. وافترض أشباح لا وجود لها .

نحن نعيش في عالم منطقي معقول .. وما يحدث حولنا يمكن رصده في

إحصاءات ومعادلات ويمكن دراسته وملاحظته والتنبؤ به .  
لا مكان لهذه التخاريف .

كنت أرفض بشدة هذا التدجيل . . .

ولكنني في الواقع . في أعماق نفسي لم أكن مستريحاً .

كنت أشعر أن ما قلته ليس هو كل الحقيقة .

نعم .. فهناك أشياء كثيرة غير مفهومة .

هذا الراديو « الترانزستور » الصغير في حضي الذي لا يزيد حجمه على

علبة كبريت يلتقط من الهواء كلمات .. هذه الكلمات كانت تسبح أمواجاً في  
الفضاء .. ومن قبل أن أفتح هذا الراديو .. كانت هذه الأمواج تدرع  
الفضاء حولي .. لا ترى .. ولا تسمع .. ولا تحس .. ولا تلمس .. ومن

قبل اختراع هذه العلبة الصغيرة السحرية .. كان الفضاء مشحوناً بهذه  
الموجات اللانهائية بدون أن تدرك أو ترى .. فهل معنى هذا أنها كانت دجلاً  
وهذاً لا وجود له .

نحن في العادة لا نعرف إلا بما نراه ونلمسه .. وهذا غرور .. فما أقل  
ما نرى .. وما أقل ما ندرك في هذه الدنيا .

هاهنا بين يدي في هذا الراديو الصغير بقلة بسيرة من المؤشر أسمع  
إشارات تلغرافية واضحة من محطات مختلفة من العالم .. ولو كانت عندي  
شفرتها لعرفت ماذا تقول .. ولكنني بدون هذه المعرفة لا تبدو هذه الإذاعات  
إلا مجرد دقات وشوشة .. وبالمثل هذا « الوشر » الذي أسمعه حيناً أحرك  
مؤشر الراديو مرة أخرى قد لا يكون وشاً .. قد يكون لغة أخرى لا أعرف  
شفرتها .

كانت فكرة عابرة .

ولكنها بدت لي محيقة .

فقد بدأت الرياح تزجج في الخارج والحو يردد .

وساءلت نفسي . هل هي ضجة .. مجرد ضجة .. أو أنها هي الأخرى

لغة ؟ وإشارات مثل إشارات « مورس » لها شفرتها ومفتاحها ؟

نعم .. من يدري .. ربما كانت لغة كونية ومفردات وكلمات .. كل ما في  
الأمر أننا نجهل شفرتها .

وانفتحت ضلفة النافذة فجأة ومرقت ربيع باردة .. فانتفضت في  
مكاني ، وجذبت الغطاء في رعب وأنا أنظر إلى البرق الذي شق ظلمة  
السماء كسيف لامع .

نعم ..

كل هذه الأحداث يمكن أن تكون لغة بلحية لا نعرف شفرتها ..

خلف هذه الظلمات المحجبة .. من يدري .. كم من الأمواج  
والإشعاعات مما نعلم ، ومما لا نعلم !

وخلف هذا الصمت الأبدي .. وراء هذه المناهات الشاسعة من  
الفضاء .. كم من الأصوات هناك مما لا نسمع .. ومن الأرواح ، ومن  
الأطياف ؟

ولنتابني دعر ..

وأخذت أتلمس بعيني من تحت الغطاء .. وقد بدت لي كل قطعة  
أثاث في الغرفة السابحة في الظلام وكأنها كيان له لغته وله روحه .  
وتسلل الذعر إلى أوصالي فجسدها وشلها .

واستجمعت كل شجاعتي .. ومر وقت خلته ساعات وأنا أتسلل  
بأصابعي إلى زر النور لأضغط عليه .

وأضاءت الغرفة بنور باهر .. وتصيب العرق بارداً على جسدي ..  
وتنفس الصعداء .. وأنا أتلفت حولي في قطع الأثاث المألوفة .  
كانت كل قطعة في مكانها .. جامدة ميتة كما عهدتها .. بلا روح ..  
كنت أتخيل أشياء لا وجود لها .

يارب ..

ومسحت عرقى وشعرت بالسعادة وأنا أنظر إلى غرفتي المألوفة وقد  
استقرت كل قطعة أثاث فيها خرساء لا تنطق .

كنت أشعر بالسعادة لأنني أنا الحى الوحيد في هذا الموات .  
انا الذى أهدد هذا الوجود .. وهو لا يملك أن يهددنى .  
أستطيع أن أحرك أى قطعة أثاث من مكانها وألقيها في الشارع . ها هنا  
بيتى .. وغرفتى .. وأشياءى .. كلها ملكى .

وشعرت أنى أسترده حريقى إزاء هذه المفردات الجامدة المتناثرة وعادتنى .  
الثقة بنفسى ..

وابتسمت ..

ثم ضحكت ..

ثم قهقهت في عصبية على تلك الأفكار المستيرية التى راودتنى . كانت  
سريحة مضحكة فعلاً .

كيف وصلت لى الفكرة إلى هذا المدى ..

إن الظلام والسكون والوحدة .. والأعصاب المتوترة .. يمكن أن تفعل  
بعقولنا الأفاعيل .

ولكن ..

ولكنى كنت مازلت أفكر .. وقد تذكرت أحداث اليوم العصيب كله .  
كانت القضية كلها مازالت هناك بلا حل . ذلك المريض الغريب ..

راغب دميان ..

كان لا بد من تفسير ..

لم يكن فى إمكانى أن أنام دون أن أعثر على تفسير .  
وأشعلت سيجارة .. وعدت أفكر فى هدوء وأتوسل بكل ما أعرف من  
محصول علمى فى جميع المجالات .

إن الأصوات .. جميع الأصوات فى هذا الكون لا تفتنى .. وكل ألوان  
الطاقة يتحول الواحد منها إلى الآخر ولكنها لا تفتنى .. الكهرباء تتحول إلى  
حركة والحركة إلى حرارة والحرارة إلى ضوء .

والكبريت حينما يحترق ويختفى هو فى الحقيقة لا يختفى ولكنه يتحول إلى  
غازات ونار وأبخرة .

كل شيء باق .. لا شيء يضيع فى هذه الدنيا .. وإنما هو يتحول  
ويتبعثر ويتشتت .

ولو أمكننا بطريقة ما أن نجتمع مايتشتت فى الكون ونعيد إلى صورته  
الأولى كما نجتمع أمواج اللاسلكى من الهواء بجهاز الراديو الصغير ونعيد لها إلى  
صورتها الصوتية الأولى .: لأمكننا أن نعرف الكثير .

لأمكننا أن نجتمع من الفضاء صوت الإسكندر المقدونى . ونسمع



ما كان يقوله على أسوار عكا ..

نعم ..

من يدري ..

هذا احتمال .. مجرد احتمال .. مجرد نظرية ..

قد يكون في مخ ذلك المريض العجيب .. راغب دميان .. توليفة  
عصية خاصة تمكنه من جمع هذه الأصوات كما يجمع الراديو الأمواج  
اللاسلكية من الهواء ويعيد نطقها ..

وقد يكون ما حدث لحظة الإغماء .. أن هذه التوليفة العصية جمعت  
من الهواء تلك الكلمات الأسبانية التي كانت مفقودة مشتتة في الفضاء ..  
وأعلنت نطقها ..

نظرية خيالية ولكنها نظرية على أية حال ..

وهي ليست بلا أساس ..

إنها بداية خبط ..

بداية واهية .. ولكنها بداية ..

واسترحت بعض الشيء ..

ومضيت أذندن في النافذة ..

وأدبرت اليك آب .. ورحت أعبت في صف الأسطوانات على الرف  
باحثة عن موسيقى خفيفة تناسب وقت النوم .. ولكن الصف انفرط من يدي  
وسقط على الأرض ..

وانكسرت أسطوانة قديمة ..

ورحت أجمع القطع المكسورة ..

وفي النور قرأت اسم الأسطوانة « بكائية أسبانية في رثاء المصارع  
الأسباني الشهير دون سباستيان » ..

دون سباستيان ؟

نفس الاسم الذي نطق به الرجل وهو مغمى عليه !

ولم أفهم معنى هذا كله ..

وكنت مازلت أنظر في قطع الأسطوانة المكسورة .. ويداي ترتجفان ..

وكان قلبي يدق بشدة وأنا أستخرج الشريط من الجهاز وأسطه أمامي  
وأفحصه بعدسة مكبرة ..  
أخيراً ..

كانت هناك تلك الذبذبة العالية غير الطبيعية تكاد تمزق التسجيل .  
ذبذبة تبلغ قوتها ٩٠ « ميكرو فولت » تظهر مرة كل ثانية وسط  
الذبذبات العادية القصيرة التي تتواتر بسرعة في التسجيلات المألوفة .  
وكان من الواضح من شكل الذبذبة العالية وتواترها البطيء المنتظم أنها  
لا تدل على ورم مخي أو صرع أو التهاب أو أى مرض مخي معروف .  
وعدت إلى مراجعتي ونشراتي ومجلاتي الطبية أبحث عن حالة مشابهة  
ولكنها كانت ساعات طويلة مضاعة .

لا إشارة من قريب أو من بعيد إلى سابقة مماثلة .  
مازلت في مكاني متروكاً في غموض حيث بدأت .. لاخيظ من ضوء .  
بعد كل الفحوص الطبية والتبع الإكلينيكي الدقيق .. مازلت في  
مكاني .

كل ما استطعت أن أكتشفه أن هناك شيئاً ما .  
الرسام الكهربائي أكد لي أن هناك شيئاً ما في مخ هذا الرجل .. ليس  
ربما ولا مرضاً من الأمراض المعروفة التي درسناها ، ولكنه أيضاً ليس  
الطبيعة السوية للمخ العادي ..

فما هو ذلك الشيء ؟

هل أعود إلى تفسيراتي الفلسفية فأقول إنه مخ به توليفة عصبية خاصة  
مثل الراديو تلتقط الأمواج وتذيعها .

## ٢ ؟

كنت أضع أمام مكتبي نتائج الأشعة والتحاليل والفحوص التي  
أجريتها ، وكنت أنظر إلى صور الأشعة صورة بصورة وأتمعن بدقة .. وأمر  
بأصبعي على كل ركن في الجمجمة التي تبدو ظلالها في الصور .  
لا أثر يقود إلى طريق تشخيص .. لا دليل .

الصور جميعها طبيعية . الفحوص الإكلينيكية لا تلقى أى ضوء على  
الحالة . جميع الاختبارات تشير إلى شخص طبيعي مائة في المائة . الأمل  
الوحيد الباقي كان الرسم الكهربائي للمخ ..

ذلك الجهاز العجيب « الألكتروانكفالوجرام » الذي وصلني من أمريكا  
منذ أيام .

كانت هنا فرصته الذهبية ليكشف عن إمكانياته .

ذلك الجهاز الذي يسجل النشاط الكهربائي للمخ ويرسمه على شريط .  
كل نبضة كهربائية تخرج من المخ ترسم في شكل ذبذبة على الشريط .

أم أنه لا مرض هناك ولا توليفة خاصة .. كل ما في الأمر .. أن راغب  
دميان استمع إلى هذه الأسطوانة الأسانية كما سمعتها عدة مرات فرست  
معانيها وأسمائها في عقله الباطن وعادته هذه المعاني والأسماء وهو مغمى  
عليه فراح يهذي بها في إغمائه .. كما نهذي بذكرياتنا في أحلامنا .

ولكنه لم يكن يهذي

لقد كان يتكلم أسانية سليمة ، ويروي أحداثاً وقعت لذلك المدعو

« دون سبامتيان كاميللو »

وكامت في الحديث حيوية من ينطق لغة يألفها وينطقها كما ينطقها

أهلها .. لا بلبله عقل يهذي .

كان في الأمر شيء ..

كل التفسيرات غير كافية

كست أغوص في الغاز متشابكة لا نهاية لها .. وأفكر وقد انتهيت من

مرضى العيادة .

وحلست أنتظر راغب دميان على ميعاد خاص .

واكتشفت فجأة أن ساعة كاملة مرت على ميعاده دون أن يحضر .

وهي ليست من عاداته فهو دقيق في مواعيده

وانتاسي قلق راح يتزايد شيئاً فشيئاً .

ورأيت نفسي أنتفض من مكاني وأختطف المعطف من الشماعة وأسرع

بالخروج .

وألم المنزل ١٥ شارع ابن الوليد بجذائق القبة نزلت من العربة

ورحت ألتفت .

كان هو نفس العنوان الذي أملاه لي في ورقة الكشف .

سألت البواب عن شقة المهندس راعب دميان .. فقال إنها شقة ١٢ في

لدور العلوي .. آخر دور في العمارة

وكان المصعد معطلا .. فصعدت ستة أدوار على رجل .

كنت أصعد سطاء .

وأتوقف من درجة لأخرى لألث وألتقط أنفاسي .

وبينا كنت أستاذ على درازين السلم وأستريح لحظة . لاحظت

سلسولا « من الماء نازلا على درجات السلم من فوق .

وصعدت درجة درجة مع هذا « السلسول » الغريب وأنا أنظر إلى فوق

فضول متطلعا إى مصدر هذا الماء .

وكان الماء يرل بشدة أكثر وأكثر ويتصاعد منه البخار كلما صعدت

مقرباً من مصدره مما يدل على أنه يتدفق من مصدر ماء ساخن

وأمام شقة ١٢ كان الماء والبخار يسبانان بشدة من تحت عقب الباب

واتابني القلق . فهذه شقة راعب دميان .

ووضعت أصبعي على الجرس في اضطراب ، ودققت مرة ثم دقة أخرى

يلة

ثم رحت أدق دقا متوالياً بانزعاج ، وأحبط على الباب

لا يجيب .

لا صوت بالداخل سوى صوت حفية مفتوحة يتدفق منها الماء بشدة .

ووقفت مسمراً في مكاني نهياً لحيلالات متضاربه .

ماذا يمكن أن يكون قد حدث .. ماذا يجري بالداخل .  
وما الواجب عمله

أظلم واقفاً هكذا أم أكسر الباب . أم أبلغ البوليس ؟  
ولم أجد حلاً سوى أن أهول نازلاً .. وأبلغ البوليس .

\* \* \*

وأمام الباب المكسور . والشقة الغارقة في طوفان الماء .. تقدمنا أنا  
وضابط البوليس إلى حيث يتدفق الماء .. من الحمام .  
كان البانيو مملوءاً على آخره ، والحنفية مفتوحة . والماء يسيل على  
جوانب « البانيو » ليملاً الشقة .. والسخان مشتعل .  
وانتقلنا من الحمام إلى غرفة النوم .

وفي غرفة النوم .. فوجئنا بامرأة في ملابسها الداخلية منحنية على  
التسريحة ، وفي يدها منقاط حواجب  
وتقدم الضابط في حذر ورفع رأسها . كانت شاحبة ممتعة اللون وعلى  
وجهها نظرة فزع هائلة .. وقد فارقت الحياة .  
وأمسك الضابط بالتليفون ليبلغ النيابة والطبيب الشرعي هل كانت  
جريمة قتل ؟

وكيف .. وبأي سلاح .. ولا نقطة دم واحدة .. ولا جرح . ولا آثار  
خنق .. ولا دلائل عنف أو اشتباك دموي  
الأثاث مرتب .. مما يدل على أن الميتة كانت في طريقها الطبيعي لتأخذ  
حماماً .. وأنها أشعلت السخان وفتحت الحنفية ليملاً البانيو .. وبينما كان  
البانيو يمتلئ كانت هي تجمل حواجبها بالمقاط أمام المرأة .

وكانت تجمل حواجبها في هدوء وهي تنظر في المرآة . حينما حدث فجأة  
أن تولاهما ذلك الفرع الهائل الذي قضى عليها

ماذا رأت في المرآة لتقلب سحنها كل هذا الانقلاب .  
لم تكن تقلصات وجهها تقلصات ألم ، وإنما كانت تقلصات خوف  
كانت عيناها جاحظتين محمقتين .. وعند ركني فيها .. تلك الحركة  
العضلية التي تدل على الرعب .  
ولمحت في أصبعها دبلة ذهبية .

لا شك أنها خطيئته التي قال إنه في طريقه إلى الزواج بها .  
ولكن أين هو ؟  
أين كان طول الوقت ؟

صورته على التسريحة يبدو فيها أكثر امتلاءً ووسامة مما رأيته . لا بد أنها  
صورة قديمة .

أهو على علم بما حدث في شقته أم أنه لم يعلم بعد ؟  
وأين هو الآن ؟

وتسللت إلى حجرات الشقة الأخرى .

حجرة صالون ستيل .. وحجرة أكل .. وحجرة مكتب أقرب إلى  
معمل منها إلى مكتب .. مكتب صغير منزو في ركن ، وبقيّة الغرفة بها مائدة  
كبيرة بمجهره بخوض ومواقد بنزن ، وأرفف للمحالييل الكيائية ، وأنايب  
احتبار ، وأجهزة تقطير ، وميكروسكوب موديل حديث قوته التكبيرية تزيد  
على عشرة آلاف مرة .. وحهاز غريب معقد لم أفهمه .. أغلب الظن أنه  
محول كهربائي ذو جهد عال .



تحت الميكروسكوب موحودة شريحة تجعل

ووضعت عيني على ابيكروسكوب .

كانت الشريحة لنسيج حتى غريب يبدو أنه نسيج جيني

ما الذي يجعل راغب دميان يمارس كل هذه البحوث المتشعبة في الكيمياء والتشريح والبياثولوجي والميكريولوجي . وهوكما ذكر لي في العيادة مهندس كهرباء في وحدة أبحاث الراديو في قصر العيني . ما الذي يجعل نخته تمتد إلى كل هذه المجالات

كنت أشعر بدهشة يمازجها الارتباب

من هو ذلك المدعو راغب دميان ؟

وما حياته ؟

وماذا يعمل بالضبط ؟

كنت أكاد أشعر من فرط التفكير أن ورم المخ قد أصابني

وكان الضابط طول الوقت مكثاً على أرض العرقة يفحصها ويدون رقماً وملاحظات في نوته .. وأنا أفكر بدون أن أصل إلى حل هل أقول للضابط إنه مريض من مرضى .. وبه حُول إلى عيادتي لشتاء ورم في المخ ؟

أم تكون هذه الشهادة إهشاء لأسرار ليس من حق إفشاؤها .

إن ما يقوله المريض للطبيب سر حميم مثل الاعتراف الذي يقوله الخاطيء

لنفسه ولا يصح إفشاؤه .

وأعلقت في وآثرت أن أفكر لنفسي .

وكان السكوت ثقلاً حديداً يضاف إلى هومي .

ولاحطت وأنا أنظر في وجه المرأة المتقلص من الخوف .. أن نظرتها

المرتاعة تذكرني بوجه راغب دميان حينما داهمته بوبة الإغماء

كانت الطرقتان في نفس التعبير ذلك الرعب المخير لكأنا أصلت

عيان على سر رهيب مروع من تلك الأسرار المطلسة وراء الطبيعة

وكنت أشعر برحلة وأنا أطل في العيين المفتوحين .. وأعطى عيني

بدي . حينما سمعت الضابط يقول .

- أنت تعرفه ؟

وهو حثت نفسي أكذب في تنقائية :

من الذي أعرفه ؟

- صاحب الشقة

لا .. هذه أول مرة أدخل الشقة

وبطر الضابط في وحيي باستغراب فأردفت موضحاً :

حشت على استدعاء بالتليفون .. قال لي المتكلم إنه مريض جداً

وأعطاني العنوان

هل تستطيع أن تصف صوته ؟

لا أذكر الصبط .. كانت العيادة ساعتها مليئة وأصوات الشارع تغطي

على المكالمات

ولا أعرف كيف تورطت في هذه الأكاديب واحدة تلو الأخرى .

كنت أريد أن أحتفظ بالسري لنفسي

كنت أرى أن كل ما يجري في حياة هذا الرجل من حق وحدي . من

شأنى .. لا شأن لأحد به .

وكت أشعر شعورًا خفيًا بأنى أمام سر لا مكان للبوليس والبيابة فيه  
وتسللت إلى غرفة المعمل من جديد مشدوداً إلى الحو العلمى ادى  
أحبه .

وأمام الميكروسكوب رحت أصبط العدسات مرة أخرى . وأتأمل  
الشريحة الموضوعة . وأحاول أن أفهم طبيعتها . كانت أشبه بنسيج  
خشبى .. ولكنى لم أستطع أن أعرف على طبيعتها بالضبط فى الثوانى القليلة  
التي أتاحتها اللوحة المختلصة .

ومحركة خفيفة من يدى سحبت الشريحة من تحت الميكروسكوب  
وأسقطتها فى جيبى دون أن يلحظنى أحد

ولم أنس أن أدس فى جيبى النوتة الحمراء الصغيرة التى وحدتها إلى جوار  
الميكروسكوب .

عملية سرقة واضحة .

ولكنى لم أستطع أن أقاوم الإغراء

كانت رغبى فى معرفة الحقيقة تغفر أمام ضميرى أى شىء . وارتفع  
صوت ضابط البوليس من غرفة النوم .

- فيه نقطة دم .

وأسرعت خارجاً .. لأراه ينحنى على السجادة وفى يده عدسة يتأمل  
بقعة حمراء مستديرة لا يزيد قطرها على سنتيمتر .

ولم أشأ أن أقول له إن ما يظنها بقعة دم ليست إلا بقعة « مركريكروم »  
من الذى يُستعمل فى مس اللوز .

وآثرت أن أتركه فى غفلته ينسج حرائم ودماء لا وجود لها .

وانشمت وأنا ألمح زجاجة « المركريكروم » على التريجة وإلى جوارها  
« دوات المس » يستطيع الضابط أن يرسم بها مئات البقع الدموية والحرائم كما  
يشاء حياله الحصص

وحببى كنت أركب عربى فى طريق العودة إلى منزلى فى ذلك اليوم  
بعضى كنت أشعر بنشوة عجيبة كلما تذكرت أنى أحمل فى جيبى اللغز .  
تلك الشريحة التى سرقها وعليها القصاصة من النسيج المجهول التى كانت  
الشعل الشاعل لذلك الرجل راعب دميان . وبوتة ملاحظاته وكنت أصفظ  
على البنزين متعحلاً الوصول إلى معمل  
كنت متعائلاً

وكنت أتخيل أن المسألة لن تحتاج لأكثر من نظرة متأملة من عدسة  
ميكروسكوب

سرطان ماذا ؟

ولكن القطاعات التي تبدو للأوعية الدموية في النسيج لا يظهر فيها التمدد والانتساع والاحتقان المألوف في السرطانات .. الأوعية الدموية طبيعية .  
وعلامات الانقسام والتكاثر الخلوي لا وجود لها .

سرطان .. وليس سرطان .. ونسيج عصبي ! . وليس بنسيج عصبي ..  
ماذا يكون .. ؟ !

تذكرت النوتة الحمراء فأخرجتها من جيبى ورحمت أجليه صفحتها .  
وأصابتى خيبة أمل لا حد لها ، فلم تكن للملاحظات الخطيرة التي توقعتها إلا  
بيانات بمشتريات منزلية . وحساب الخزاز والبقال والصيدلى .

وشعرت بالصداع

وأشعلت لفافة تبغ ..

ومضيت أدخس وأفكر في هدوء وأطلقت النور الذى أمتع عيني من  
طول الحملقة في عدسات الميكروسكوب .

كان أملاً ضعيفاً .

نعم .

من يدري ؟

ربما كان هو الآخر قد عاد إلى الديار إلى غير عودة .. فهو الآخر يعيش على  
حافة كارثة .

كانت النية قد أخذت شهادتى للمرة الثالثة .

وكان التحقيق مازال يسير بدون تقدم .. لم يظهر أثر المدعو واغب  
دميان وكأنه كان وهماً .

## ٢

كنت أضع الشريحة تحت الميكروسكوب الكبير الذى استعرت من صديق  
الكثريولوجى . وأحاول جاهداً أن أفك طلاسمها

كان ماظهر لى في البداية أنه سيج حنى ظناً خاطئاً .. والخلايا في  
تفاصيلها لا تشبه الخلايا الحبيبية . وهناك زوائد واضحة عند أطراف  
الخلايا مما يجعلها أشبه بسحوم مدنية . وهى صفة في الخلايا العصبية للمخ  
والجبل الشوكى لا في الخلايا الحبيبية الدائية .

ولكن شكل الروتوبلازم والنواة .. وتوزيع الصبغة المستعملة مختلف عما  
هو مألوف في الخلايا العصبية

كان الأمر محيراً ..

وما كان يحير أكثر . هو شكل النواة في الخلية

كانت كبيرة متوهجة أشبه سواة الخلية السرطانية .

سرطان ؟ !

قلب البوليس الأرض بحثاً عنه دون جدوى .

اختفى ..

تبخر ..

لا خيط .. ولا دليل .. ولا أثر يقوه إليه .

الطبيب الشرعى قال فى كشفه على الجثة .. إنها حالة موت طبيعية نتيجة

فزع فجائى توقف له القلب وثلت الأعصاب ..

سكتة قلبية .. مثل السكتة التى تحدث فى الوفاة نتيجة الصاعقة .

كيف حدث هذا الأثر الصاعق ..

ماهو ذلك الخوف الذى يوقف القلب ويشل الأعصاب كما تشلها

الصاعقة ..

أسئلة .

مجرد أسئلة بلا أجوبة ..

وكت أنا الآخر أسأل نفسى .. وأفكر . دون نتيجة . كل الفرق أنه

كان عندى أمل فى أن يتصل بى راغب دميان ..

فى كل نوبة من هذه النوبات التى تتابيه كان يبدو وكأنه يروح فى غيبوبة

الموت .. وكأنه يخطو إلى هاوية لا قرار لها ..

بنفسه المحتلى كان يخفت حتى يصبح همساً وتنفسه كان يتحول إلى

لهاث .

وأطرافه تبرد وتتشحج .

ثم فلك الفزع الذى يظهر عليه فتسع حدقاته فى جنون مثل حدقات

مدمى الكوكايين وتتشنج أطرافه وتتصلب كأعواد من حديد ..

ماذا كان يرى فى غيبوبته ليفزع كل هذا الفزع ..

ثم هذه اللغة الأسبانية التى كان يتكلمها فى طلاقة كما يتكلمها أصحابها

دون أن يتعلم منها حرفاً واحداً .

أهى حالة عصبية أم نفسية أم روحية ؟

أهى حالة فى متناول العلوم الطبية المعروفة ؟

كان الرد على هذا السؤال قابلاً فى أدراجى .. فى صور الأشعة العديدة

لتي التقطتها للرأس .. فى رسم المخ الكهربائى .. فى تحليلات الدم والسائل

السحائى .. فى الفحوص الأكلينيكية المضنية التى أجريتها .

وعدت إلى صور الأشعة أحاول مرة أخرى .

وأصأت النور . وعدت أضعها الواحدة إلى جوار الأخرى .. ورحت

أنفحصها فى هدوء .

وفجأة .

هبطت الحقيقة وكأنها إلهام .

لأنه تكن إلهاماً

لقد تصادف أن كان على الفانوس الخاص باستطلاع الصور صورة

قديمة لحمجمة عادية لرجل سليم

ولأول مرة أمكننى أن أقارن الصورتين .

لم تكن ظلال الحمجمة فى صورة راغب دميان ظلالاً عادية كما

تصورتها للوهلة الأولى .

كانت العظام كلها أرق قليلاً من المألوف .

ملاحظة كان من الصعب إدراكها بدون اللجوء إلى المقارنة المباشرة ،



لأن الأثر الذي لحق بالعظام لحق بها جميعاً فاحتفظت الصور سلباً  
الطبيعية

ما معنى هذا؟

العظام أرق من المألوف ، فراغ الحمجمة أكثر  
هل هي حالة مرضية في العظام .

لا لم تكن حالة عظم بدليل عظام العنق في الصورتين . كانت عظام  
العنق في الصورتين متماثلة وطبيعية

لعظم سليم

وما حدث لعظام الحمجمة ليس مرضاً بالعظام . وإنما نتيجة ثانوية لما  
حدث في المخ .

المخ ازداد في الحجم

عظام الحمجمة تمددت وارتقت

للدنات الكهربائية الخارجة من المخ ارتفعت قوتها من ٥٠  
ميكروهولت إلى ٩٠ ميكروهولت

هناك شيء ما حدث في المخ

وبرق في دهي خاطر .

إن ما حدث في مخ دميان .. المرجح أن يكون قد حدث مثل له في مخ  
حطيته . بدليل حالة الفزع التي عاشها الاثنان .

ومن حسن الطالع أن مخ الحطية استوفاة أصبح في الإمكان تشريحه  
ودراسته

وقعرت من مكاني هذا الخاطر .

ورفعت سماعة التليفون لأطلب الطبيب الشرعى الذى أشرف على

وأخبرنى الدكتور على الطرف الآخر من الخط .

سألته في خست عن بعض التفاصيل في التشخيص

كنت في الحقيقة أريد أن أعرف مصير الجثة

وكرر ثنائياً بدرجة جعلتني في غنى عن استدراجه .

حكى لى أن الجثة ظلت في قصر العيني ثلاثة أيام دون أن يشعر عليها

أحد

ثم تقدم رجل عجز قال إنها استه التي حرحت من أيام ولم تعد

وبكى بمرارة وتسلم الجثة ووقع على استمارة التسلم بإمضاء عوض إبراهيم

، أنه مر بعد ذلك بعباً في الصحف للمتوفاة تحت اسم ماري عوض . فية

أسماء جميع أقاربها بما فيهم الأب عوض إبراهيم . وأن تشيع الجنازة

سيكون في الصباح وألدفن بمقابر الروم الكاثوليك . قرأ هذا في صحف

يوم

وفي الحقيقة لم أكن أريد أن أعرف أكثر من هذا .

إنها دفنت اليوم بمقابر الروم الكاثوليك

ربما من ساعات

ولم يكن أمامي وقت أصيحه

كان لابد من الوصول إلى الجثة والحصول على المخ بسرعة قبل أن

يحل

وارتديت ثيائي .. وأخذت عربتي .. وأسهرت إلى المقابر .. كانت

الساعة قد بلغت الواحدة بعد منتصف الليل ، والبرد قارصاً والرياح  
شديدة ، والشوارع خالية تماماً .

وشعرت بالاطمئنان .

في مثل هذا الخفاء والظلمة والسكون يستطيع الواحد أن يفعل أى  
شئ .

وبلغت بوابة المقابر .

وكان الحارس ينام في غرفة إلى حوار الباب .

ولم تكن هناك وسيلة لمعرفة المقبرة والوصول إلى الجثة بدون معونة

الحارس .

وطللت أطرق باب الغرفة عدة مرات قبل أن أسمع خطوة الحارس وهو

يتعثر وأسمع بثأؤه .. ثم أراه يفتح الباب وينظر إلى وقد فغراه في دهشة

لم يكن غريباً على .

وسرعان ما تصاحبنا في ود ، فقد كان الرجل مريضاً قديماً من مرضى

أعالجه من سنوات من حالة صرع مزمنة .

وجرى كل شئ بعد ذلك في هدوء

صحنى الرجل إلى المقبرة ومعه أدواته .

وصلى الرجل أنى أفعل هذا تفويض من اليانة ، وأن فى الأمر سرّاً

خطيراً لا يجب أن يعلم به أحد

ومضى وقت وهو يرفع البلاطة الرخامية .

وكان صوت معوله وهو يهوى فى الصمت والخراب كأنه يدق على

أعصابى

، كما صدوت بصدور أدمى فى صوء سحوء

هذه فى قلب ديت صدوت كذب حقيقته تدم لا يقصنى سم

فى عصء حتى

حقيقة

وعلى صوء بشارية صغيرة رفعت العطاء ليعاثنى مطر مروع

كابت الحنة ممددة فى الصدوق بلا رأس

الرأس مقطوعة من حدودها

وأدهلتنى المفاحاة وألحمت لسانى

وظرت بارتيب إلى الحارس .. ولكن الحارس كان يقف مثل وقد

سعت عيئه من الصدمة وراح يحمق فى الصدوق فى بلاهة

كان واضحاً أنه حلى الذهن تماماً مما حدث ، وأنه أكثر مني جهلاً

بالعقل

وسقط قلبي فى صلوعى ، وكان رأسي أنا هو الذى قطع . وتذكرت

عب دمير

كنت أرى يده على الحنة وأثر بصمته على صدوق . وآثر قدمه

على الأرض بدمنة

لم يكن هناك شك فى أنه صاحب المصلحة الوحيد فى هذا العمل .

تد كلال نحري حلف شئ واحد مثل كلنى صيد مطلقين حلف سر

هب

مكرت على نسي

قد سقي

سقي

كنت أشعر بحياة أمل لأحد هـ

وعدت نعصاً بي مكانه

وتركت الحارس يسوى الأرض ويضع البلاطة مكانها

وعدت أدرجني وأنا أشعر بأن خطواتي ثقيلة وساقى ودرمتان

كان يحتم عليّ بأس لأحد له

كنت أقول نفسي

إذا كان هناك معنى أكيد هذا كله . فهو أن راعب دميح حي

وأنه يعيش في مكان مـ

وأنه لابد سيلجأ بي

لابد سيلجأ بي

هل كنت أصمتن نفسي ؟

## الدمع والدمع

أصبح التفكير في راعب دميح جزءاً لا يتجزأ من حياتي ، فأنا أصحو

م على وجهه اضميم الشاحب وعيني الزائغتين .

وأنا أسمع صوته . وأهذي به في أحلامي .

وأنا أتخيله طول الوقت في معمله وقد انفرد بالرأس الذي نزرعه من الجثة

وراح يصحبه

ماذا تراه قد وحد من أسرار في تلك الحقيقة من الخلد والعظم التي اسمها

الدمع .

وأني بحوث غريبة يجربها ؟

هذه الخلايا الحية التي اسمها المخ .. كيف ترى وتسمع وتحس وتنم

وتفهم .. !

كيف تشعر بالألم ؟

وكيف تشعر باللذة ؟

وكيف يخلق لنا المخ هذا الضوء الذى اسمه الوعي والإدراك ؟ هل المخ هو العقل ، أو أنه مجرد وسيط يستخدمه العقل لينقل الأشياء ؟ إن ما قد له الطب عن المخ والأعصاب قليل ، وأقل من القليل .. فالأعصاب أدوات استشعار تنقل المؤثرات الخارجية إلى مراكز في المخ ، كما تنقل أسلاك التليفون الكلام إلى الأذن .. وفي هذه المراكز كما فى الأذن يتم تصور هذه المؤثرات بالشكل الذى يراها فى الواقع

إننا نشعر بالمؤثرات العصبية على هيئة حرارة وبرودة ، وضوء رائحة ، وألم ولذة .

ولكن كيف ؟

هذه الترجمة التى يترجم بها مخنا كل المؤثرات التى تصل إليه .. هل هو ترجمة صحيحة ؟

هل الماء لا طعم له ؟

وهل الليل أسود . والنهار أبيض ؟ .

أو أنها إحدى الصور الممكنة بين ممكنات لا عداد لها ؟

هل يمكن أن يكون لهذا العالم شكل آخر ؟

وهل يمكن أن نراه على صورة أخرى أكمل وأشمل وأصدق ؟

إن السر فى المخ :

إن بدأ وننتهى إلى المخ دائماً . فهو المترجم الألكترونى لهذه الدنيا

وهو الذى يصنع لها صورتها وشفرتها . فإذا أردنا أن نرى للكون صوراً أعمق وأصدق من التى نراها .. فلا سبيل سوى أن نقلك هذا الحما

الألكترونى الذى اسمه المخ ، بعيد تركيبه ليكون أقدر على هذه الرؤية الجديدة التى نطلبها .

إنه المخ دائماً

حقيقة الأسرار ومفتاح جميع هذه الرؤى السحرية

المخ أولاً إذا أردنا أن نعرف حقيقة أى شىء .

وهو يعلم هذا جيداً ذلك الرجل . راعب دميان . وربما كان فى هذه

اللحظة يستخرج المخ من الحثة ويضعه على المشرحة . ويقطعه جزءاً جزءاً

ليفحصه بذلك الميكروسكوب الذى يكرر عشرة آلاف مرة

وهو قد توصل إلى شىء .. شىء لا أعلمه . ولكنه خطير .. يستطيع

أن يوسع نطاق المعرفة والرؤية والإحساس .

وربما أوصلته هذه البحوث إلى رؤى جديدة مفزعة .

نعم . كان السر هناك تحت خطوات مشرطة فى تلك اللحظة وأنا هنا ألهث أمام أبواب مغلقة

وكانت الساعة قد بلغت الواحدة . وأنا مارلت مسهداً . أستحدى اليوم بلا فائدة

وفكرت أن أحرب الطريقة المألوفة فى جلب النوم . بالقراءة لسحيفة

وبدأت أقلب أكوام الجرائد القديمة إلى جوار الفراش .. أقرأ لإعلانات ، والوفيات ، والمقالات المملة ، والحوادث التى قرأتها قبل ذلك رات ومرات .

وبدأت الحروف تتراقص أمام عيني .. وبدأت أنعس .



وكنت أوشك أن أنام حينما التقطت عيناى عنواناً فى صفحة الحوادث  
فى جريدة قديمة عن سرقة عشر إبر راديوم ثمنها أكثر من عشرين ألف جنيه  
من قسم أبحاث الراديوم بالقصر العيني . وقد أبلغ عن السرقة مدير القسم  
المهندس راغب دميان .

وطار النوم من عيني فجأة .. وفهرت من فراشى  
ورحت أقرأ الخبر مرة ومرات وأنا أفرك عيني وأعود فأقرأ من جديد  
الاسم بالبط الأسود .. راغب دميان .

وقرأت تاريخ صدور الجريدة ..  
كانت صادرة منذ ثلاثة سنوات .  
ولا أدري لماذا احتفظت بها كل هذا الوقت ربما سبب هذه الإحصائية  
المنشورة عن الأمراض العصبية فى مصر والموجودة بنفس العدد  
من كان يظن أنى يمكن أن أصعب يدي على سر خطير بهذه البساطة  
إنه هنا  
راغب دميان بعينه

وهذه السرقة التى أبلغ عنها هى من صنع يديه .  
فلا أحد يسرق راديوم إلا لص عالم ، وبحاجة يعرف فوائده ويوى  
استخدامه والاستفادة به .

إنَّ اللص العادى لا يمكن أن يمد يده إلى راديوم  
وأن يبيعه إذا سرقة ؟ وكيف .. ؟ وماذا يعنى الراديوم بالنسبة له ؟  
لا شىء

إن هذه السرقة وثيقة الصلة بالحوث التى كان يقوم بها راغب دميان  
منذ ذلك الحين  
وربما كان هذا التاريخ هو بداية اشتغاله بهذه البحوث . وكنت التاريخ  
فى ورقة

وقطعت قصاصة الخبر من الصحيفة واحتفظت بها .  
لقد تقدمت حصوة  
إن راغب دميان لابد يحتفظ بهذه الإبر الثمينة من الراديوم فى مكان آخر  
بىر بيته وغير معمله الذى اقتحمه البوليس .  
ومعنى هذا أن معمله الحقيقى وأدواته فى مكان سرى مخفى عن  
أعين وفكرت

إن هذه الإبر الثمينة من الراديوم المشع سوف تفضحه .  
وكنت مدحوصة فى بؤة بشراء عداد حيحر  
عن طريق هذا العداد الذى يكشف عن اقل إشعاع سوف أستطيع  
معرفة مكان المعمل السرى ومخبأ إبر الراديوم .

\* \* \*

كانت أوشك أن أفعلته حينما تيقظت فى الصباح . هو شراء عداد حيحر .  
ورسمت خطة محكمة لتقسيم القاهرة إلى عشر مناطق . أذرع كل منطقة  
عرة فى يوم . أتحوّل فى كل شهر فيها .. وأتحسس طريق  
وسوف يتولى العداد كشف المنطقة التى فيها الراديوم .. ثم يدلنى على  
بيت . والغرفة .. والخزانة  
لن يكلفنى الأمر أكثر من الصبر والمثابرة

وبدأت اليوم الأول بحماس .

وظللت أتجول في ضاحية حدائق القبة .

فكرت أنه ربما اختار مجاه قريباً من بيته .

ولكن بحثي لم يسفر عن شيء .

كانت عياني على مؤشر العداد طول الوقت ولكنه كان ينام نوماً ثقيلاً في

مكانه

وفي اليوم التالي كنت أذرع شوارع المعادي .

وفي اليوم الثالث كنت في الدق .

وفي اليوم الرابع كنت في الحيزة

وفي اليوم الخامس كنت في مصر الجديدة .

منطقة بعد منطقة رجت أذرعها في صبر وأناة ، بدون جدوى . فكرت

أنه ربما كان يضع إبر الراديو في خزانة من الرصاص مزدوجة الجدران

وبمثل هذا الاحتياط يستطيع أن يمنع الإشعاع من التسرب بقدر يسمح

باكتشافه

كان مثل هذا الاحتياط بديهيًا من مهندس أشعة يعلم أنه سارق

وكان معي هذا أني ألهث وراء شيء لا وجود له

وصرفت النظر عن هذه المطاردة ..

وحيم على اليأس من جديد .

ولكن لا أدري لماذا برقت في ذهني من جديد حكاية البومة الحمراء

لمادا فكرت فجأة أنه من غير المعقول أن تكون كل وظيفة هذه البومة

هي إدراج حسابات الحرارة والبقال والصيد ؟

ولمادا توضع مثل هذه البومة بجوار المكبراسكوب ؟

وسرعة أخرجتها من حبي ورحلت أتصفحها من جديد .

وماكدت أقلب الصفحات الأولى حتى فوجئت بصفحات في الوسط

كتوبة بالرصا ص ، فيها معادلات كيميائية .

وفي صفحة أخرى ملاحظات متناثرة على شكل خواطر .

لوحظ أن العصب البصري يحتوي على أكثر من مليون خط عصبي .

وأن الإشارات العصبية تتقل في الأعصاب الطويلة مثل الأعصاب

ساقير عن طريق محطات تقوية كهربائية كيميائية ، وأن الليفة العصبية ليست

في الواقع إلا سلسلة من محطات التقوية تماماً كما في الكابلات التي تنقل

إشارات التليفونية عبر البحر .

- كيف تبقى البطاريات في الخلايا العصبية مشحونة على الدوام وفي

لحظة صالحة للإرسال والاستقبال طول العمر .. هذا هو السؤال .

- في الوقت الذي تنقبض عضلات القلب ٧٠ مرة في الدقيقة .. ولا

يكاد تنقبض عضلات المخ والأصدا ف إلا مرة كل عدة ساعات لإغلاق

المخارة وفتحها .. لوحظ أن عضلات أجنحة الحشرات تنقبض حوالي ٥٠٠

مرة في الثانية ، المادة التي تتكون منها عضلات هذه الحشرات هي

الأكثوميسين ( هي مادة بروتينية ) ..

كيف يمكن أن تتم العمليات الكيميائية في هذه العضلات مثل هذه

سرعة والكفاءة .

- الجسم الصوري في المخ .

- الأثر الإشعاعي على الكروموسومات .

و تحت كلمة خشم بصوري ثلاثة خطوط  
حيوت أن فهم معدلات كيميائية ولكن معنوماني في كيمياء .

سعفي

وبعد لاهتمام بخشم بصوري بدأت  
أن أعم من درستي للتشريح أن خشم بصوري هو ردة في مع بلا  
وظيفة معروفة . وكان معتقد في ماضي أن مركز لاتصالات بروحيه  
وهو عقد حراقي رفصه لعدم من دمن

ما يدى بعصه يفكر في خشم بصوري . ويضع حبه ثلاثة خطوط  
وهو ما الكروموسومات (وهي باقالات لصبغ بروجيه) وراثي  
لاشعاع عليا وماده لأكتوميسين<sup>١</sup>

هل هذه معدلات الكيميائية هي محاولات للوصول إلى تركيب مادة  
لأكتوميسين

كنت ملاحظت كيف مكتوبه على شكل حوصر عرره . وكيف  
فصحت أدمي عددا من نعومص حتى يعيش فيها ذلك بحث عريب  
ما يدى بحري وراءه دميان<sup>٢</sup>

## الخلايا العصبية

إن ما يحري وراءه راغب دميان هو اكتشاف سر الحياة ..  
إن الكميات القليلة المكتوبة في الموتة تشير إلى هذا .. فحوته تدور  
حول سر التفاعلات الكهربائية الكيميائية في الخلية العصبية

كيف تتولد التنبيهات الكهربائية في الخلية العصبية ؟ . وكيف تستقبل هذه  
تنبيهات في العضلات .. وكيف تنقبض هذه العضلات في حشرة بدائية  
حساسة مرة في الثانية ؟

من أين تنبع هذه القوة المخنونة التي تحرك أجناح حشرة مثل مروح  
مذرة ؟ وما سر هذه المادة السحرية ؟ أكتوميسين<sup>٣</sup> التي تتألف منها العصلة  
لحبة ؟ والكروموسومات ؟ لعز الحياة المطلسم . تلك القضبان الدقيقة  
في أنوية الخلايا . والتي لا ترى إلا بأقوى الميكروسكوبات .. تلك القضبان  
حتى نحوي على كل الصفات الوراثية للإنسان وما هو أكثر . أيها تكاد

نكون أرشيفاً لتاريخ الحياة كله مسجلاً على المادة الحية . منتقلاً معها من حبل إلى حبل .

إنه يحاول أن يكشف سرها بالتأثير عليها بالإشعاعات .

وأخيراً تلك الرائدة العامضة في المخ البشرى ( الجسم الصوري ) التي تتلى مثل ترسة صغيرة في وسط المخ بلا وظيفة وبلا دور معروف . هل يمكن أن يكون قد وصل إلى سرها ؟ ! ماذا اكتشف ذلك الرجل الهضم الشاحب ؟

إنه يسرق . ويقتل .

نعم .. ربما كانت هذه الوفاة التي بدت وفاة طبيعية هي جريمة قتل دبرها وسائله ليحصل على مخ الضحية .

ربما كانت تحربة رهيبة من تجاربه

وربما كان في طريقه الآن إلى جريمة أخرى .

كنت أقود عربتي بسرعة في طريق مصر - إسكندرية الزراعي ذاهباً إلى ططا في مشوار عائلي .

وكنت غارقاً في تساؤلات لا آخر لها وقد استقرت قدمي على دواصة البترين على آخر سرعة حينما ظهرت أمامي فجأة عربة ثقيل كبيرة وضغطت بآخر قواي على « الفرملة » وانحرفت في الاتجاه الآخر لأنزل أنا والعربة في حقل محروث حديثاً .

وكنت حسر الحظ لأن العربة غاصت في هبوب وأمان في التربة المحروثة .. وكتبت لي بالهجاء من موت أكيد .

وتصبب العرق على وجهي وشعرت بأصابعي ماردة ثلجية مبتلة ورحلت

نمسخ وجهي بأنامل مرتخفة

وكان قد تجمع حول العربة بعض الفلاحين واحولاً يدفعون العربة التي عرست في التربة الرملية .

وخطوة .. خطوة .. بدأت العجلات المقروسة تتحرك .. ومددت يدي لأدير « المارش » .

وحانت مني التفاتة إلى عداد حيجر الذي وضعت على عارضة العربة تسعت عيناي من المفاجأة .

كان مؤشر العداد قد اندفع على الميناء مشيراً إلى وجود إشعاعات راديو من قرب

معنى ذلك أن مجنأ دميان عن قرب .

إشعاعات راديو من قرب !

معنى ذلك أنني على بعد خطوات من السر .

ربما دورة أو دورتين بالعربة في المنطقة .. وأستطيع أن أحدد بالضبط مصدر تلك الإشعاعات .

ونظرت حولي ..

كان الطريق الزراعي حالياً ..

لم تكن هناك آثار لمساكن سوى « فيلا » صغيرة على بعد خمسمائة متر من المكان ..

لم يكن هناك محال لاحتالات عديدة

وإنما هو احتمال واحد في الغالب ، هو أن هذه « الفيلا » في هذا

لطريق المقطوع هي المحبأ السري



وكان معنى هذه الإشعاعات القوية أن الراديووم موضوع في مكان  
مكتشف وليس محفوظاً في خزانة الرصاصية التي تحجب الإشعاع . وروى  
كان موضوعاً في تجربة بالفعل .

وتوترت حواسي كلها وأنا أنطلق إلى الوافد ذات الستائر المسدلة  
وأوقفت العربة على جانب الطريق على بعد كاف حتى لا يثير الريبة  
وتسللت إلى « الفيلا » لأصعد السلالم القليلة في المدخل .. ثم أقف أمام  
الباب أتلفت حولي في حيرة .  
هل أدق الحرس ؟

لا .

إن أي إشعار بطارق غريب سوف يعطى للرحل وقتاً كافياً ليخفي معالم  
كل شيء .

لا بد من وسيلة للمفاجأة

لا بد من الدخول من طريق آخر غير الباب .

لو أني التفتت بالعربة حول « الفيلا » ووقفت بها تحت البلكونة الخلفية  
لأمكنني أن أصعد فوق العربة وأقفز منها إلى البلكونة كالقطة بأقل جهد  
بدكر

وفي لحظة كنت أدير بالعربة ، وأقف بها في المكان المناسب وأصعد  
عليها ثم أقفز لأصبح في البلكونة لا تفصلني عن الداخل إلا ستائر حريرية  
هفافة

وأزحت الستائر في حذر وأدخلت عيني متلفتة لأكتشف أن البلكونة  
لغرفة نوم . وأن غرفة النوم خالية

كنت هناك صالة واسعة وممر وغرفة مضادة في آخر الممر ، وباب الغرفة  
مفتوح . ويبدو منه جهاز « أتوكلاف » كبير .  
به المعمل .

ولا بد أنه عاكف الآن على العمل  
هل أدخل ؟

أو أختبئ حتى يخرج لأفتش بحرية في كل شيء ؟ وآثرت الاختفاء  
وعدت إلى غرفة اليوم لأتعدد تحت السرير وقد أصبحت بكل أدنى إلى  
كل حركة

ومرت ساعة كثية شعرت فيها أني أتسلج

ولم أسمع لحلال هذه الساعة الطوية حركة واحدة تدل على وجود حياة  
ب حوارى .

وفكرت ..

ربما كان في الخارج وقد أشعل النور قبل خروجه ليوهم أي لص من  
لصوص الطريق أنه موجود .

وخرجت من مخبئي بهذا الأمل الضعيف وتسللت إلى الصالة ثم إلى  
باب المفتوح . لأطل في خوف .. واكتشفت أن المعمل كان خالياً طول  
وقت

وبعد دقيقة أخرى من التجول الحذر تيقنت أن البيت خال بالفعل .  
والصاحبه في الخارج .

ولم أشأ أن أصبح لحظة

كان المعمل هو هدفي .

وہی ملک و صبح علی قیام سے شہادتِ حق دیتی ہے کہ وہ  
حقیقی قومِ مانت ہے

والجالس في هذا الكرسي يمكن أن يكون هدفاً لأشعة مركزة تأتيه من  
تحت وعن يساره ومن خلفه ... ثلاث حزم من الأشعة تنعكس من ثلاثة  
عكس لتتركز في نقطة واحدة في رأس الجالس على الكرسي .. يمكن أن  
يحدثها المشرف على العملية مسبقاً عن طريق المراجع المتعددة المحيطة  
بكرسي .. وهي مواقع مزودة بمرآة دقيقة لقياس قطر الرأس ومحيطه .  
جهاز عريب .. لم يستطع لي أن رأيت مثله .

ولاحظت أن « الباراقان » يؤدي أيضاً إلى باب في الخلف ، والباب  
يفتح على غرفة مربعة .. بها جهاز آخر غريب يشبه معادل ذرى صغير .  
ولكنه ليس مفاعلاً ذرياً بالمعنى العلمى المفهوم ..

وفى مركز الجهاز بومبة راديوم . بها إبر الراديوم المفقودة .. وكان من  
لواضح أن ذلك الرجل توصل إلى عدة مراحل يحطم فيها المادة إلى  
إشعاعات

وأنه يستخدم هذه الإشعاعات في تحاربه على المخ الحى .. ولكن ما  
الداعى إلى مولد الكهرباء الاستاتيكية .. وما دوره فى العملية .. وأجهزة  
التقطير والأصباغ والمحاليل العيانية ومواقف سترن العديدة ؟ !

لا بد أن هناك عملية استخلاص كيميائية أخرى لها أهميتها .. ووضعت  
عيني على الميكروسكوب

وفوجئت برؤية الميكروسكوب يسبح فيه عدد هائل من الحيوانات  
المنوية

لم تكن حيوانات منوية آدمية .. وإنما حيوانات منوية مستخلصة من  
مثنات ضفادع فى الغالب .

وتأكد استتاحى حيناً رأيت نويضات ضفادع متعددة فى نفس المجال  
الميكروسكوبى .

كان معنى هذا أنه يحاول مشاهدة عملية تلقيح البويضة على الطبيعة  
وعملية الانقسام والتخليق الحيوى ، ودور البواق والكروموسومات فى  
تعمية

وكان مؤشر الميكروسكوب يشير بالفعل إلى نواة البويضة وإلى

كروموسومات .. وفهمت من وجود سخّاحة بها سائل أزرق إلى حوار  
ميكروسكوب أنه يحاول أن يحرب دور المؤثرات الكيميائية المختلفة على  
لكروموسومات

إبه معمل باحث متعمق فى الطبيعة الحية ..

وكانت على المائدة كراسى مذكرات ..

ومددت يدي لأفتح الكرسي .. ولكن يدي تجمدت مكانها . فقد

سمعت المفتاح يدور فى قفل الباب وأرحل بسرعة تدخل ..

وتلفت فى ارتباك أبحث عن مكان أخشى فيه .

ولم أجد أمامي إلا « الباراقان » .

وأسرعت أخشى خلفه وكنمت أنفاسي .. فى الوقت الذى دخل فيه

دميان ومعه رجل آخر كبير الرأس

وكان دميان يبدو أشد شحوباً وأشد شحوباً مما كان .

وسمعتة يقول لثأثره وهو يشير إلى الكرسي الذى يشبه كرسي طبيب

الأسنان

هذا هو الجهمار الذى سيشفيك من الضلع .

ربنا يجعل فى يلك الشفا

- يا ذا الله الاعتماد على الله .

وأحله من يده مردباً :

اخلع الطاقية من على رأسك وتعال اقعد هناك وأشار إلى الكرسي .

وحلع الرجل الطاقية ولاحظت أن رأسه أصلع تماماً .

وعرفت الخدعة ..

إن دميان استدرج الرجل الأصلع برغم أنه سوف يعالجه من الصلع  
وهذه الطريقة سوف يضعه على الكرسي ويسلط الأشعة الجهنمية على محه  
ويكيفه كما يشاء في الوضع الذي يختاره . ليكون موصوعاً لتحرته ورمي  
حريمته فيما بعد حينما يصبح المرحوم ممحاً في أحد أحواض الفورمالين المترصة  
على لمائدة

كست على وشك أن أشهد بعبي حريمة قتل بشعة  
وفكرت بسرعة . على حين جلس الرجل الأصلع على الكرسي . وأحد  
دميان يقيس رأسه بالبراحل العديدة المثتة في الروافع .. ويدنّون المقاييس في  
وثة . ثم يعدل من وضع أنابيب الأشعة ويعبر الروايا العاكسه ليضبطها  
على المسافات المطلوبة

ثم فتح أحد الأدراج وأخرج حقنة معقمة . ملأها بسائل أرقق .  
يشبه السائل الذي في السحاحة ، وحقنها في وريد الرجل ... ونظر إلى  
ساعته قليلاً .

بعد عشر دقائق سوف أبدأ العلاج .  
وسألت نفسي وأنا أفكر بسرعة : ولماذا عشر دقائق بالذات ؟  
وأسعفتني ذاكرتي الطيبة .

إن هذه هي الدقائق المطلوبة لتصل المادة المحقونة في الدم إلى الحسم  
الصنوبري في المح ويبدأ فعلها .. وبعد هذا يبدأ العلاج .  
ولن يكون العلاج إلا تسليط هذه الأشعة الجهنمية من زوايا ثلاث على  
حسم الصنوبري

بعد دقائق تبدأ حريمة رهيبة . وأنا واقف أتفرح .  
لا بد من عمل ..  
لا بد من عمل ..

ولكن الانتظار طال ولم يعد التيار إلى حاله .. وأنا أتفلس الصعداء في  
محسى ..

ومرت ساعة ترقب "طويلة" مملة .  
ورأيت دميان يفضي بطارية صغيرة ويقول لزمته :  
"يبدو أن التيار سيظل مقطوعاً طول الليل .  
يحسن بنا أن نؤجل العلاج للغد .  
- كنت أريد أن أنتهي من العلاج وأستريح  
- ليس أماننا حل آخر .

ورأيت الاثنين يخرجان .. وسمعت الباب يفتح . وخطوات الاثنين تنزل  
السلم .. وتغيب في الطريق .  
وفكرت بسرعة .

إن وحدى وراء البارافاد يعطيني الفرصة لأراقب كل ما يجري في الغرفة  
ويعطيني الفرصة في نفسي الوقت لأن أطفئ النور وأهرب في الظلام من  
الباب الخلفي إذا دعا الأمر .

كان مكاناً مناسباً يجعلني وسط الأحداث باستمرار  
ولم يكن لي نيتي أن أواجه راغب دميان .

كنت أريد أن أتركه يعمل بجريته تحت وهم أنه وحيد في معمله .  
لأعرف منه كل شيء .

ولهذا قررت البقاء في مكاني .

ومرت دقائق ظنتها ساعات

ثم سمعت المفتاح يدور في الباب وخطوات "دميان" داخلة .

## الآلة الهيمية 1

انقضت الدقائق العشرة .

وبدأ دميان يوصل التيار الكهربائي ويدير أزرار الجهاز .  
وأضاءت أنابيب أشعة المهبط الثلاث بوهج خافت .. وارتفع أريز  
الآلة الهيمية

وتلفت حولي في ذعر

واكتشفت أن سكينه التيار الكهربائي ورائي .

كانت أشبه بطوق حجارة يلقى إلى في آخر لحظة .

وبسرعة فصلت السكين فانطلقت الأنوار وغرقت الغرفة في ظلام

دامس وسمعت دميان يقول في ضجر :

انقطع التيار مرة أخرى

ثم يردف في غيظ وقد أعد نفسه للانتظار :

أمرنا الله ..

كان. وحده هذه المرة .. وشعاع البطارية الصغيرة يلمع في يده  
ومحركة خفيفة أعدت السكينة إلى مكانها . فتلاأت الأنوار في  
المعمل ، وسمعت دميان يمصص شفتيه في نديم .  
- لو أننا انتظرنا قليلا .

ورأيته يفرك يديه وينظر إلى المصباح المضيء في عتاب .. ثم يفتح  
الكراسة ويطل في الميكروسكوب ثم يلقى بالشرجة التي عليها الحيوانات المنوية  
في الملاعة .. ويفتح صندوقاً يستخرج منه ضفدعة حية يشقها بمشرطه  
سرعة .. ليفرغ ما فيها من حيوانات منوية على شريحة حديدية يضعها على  
الميكروسكوب ثم يمضي يلاحظ . ويدون ملاحظاته بسرعة .

ويمد يده إلى السحاحة ويفتح صبوراً فتتزل قطرات قليلة زرقاء من  
القطارة على شريحة الميكروسكوب . ويعود إلى الفحص وتدوين  
الملاحظات .

وبعد ساعة أخرى من العمل المتواصل رأته يقف ويطر حوله متعباً  
ويمسك برأسه ويفركها ويفرك عيبيه كأنما يحاول أن يطرد نعاساً . ثم رأته  
يخرج حقنة من العلوية يملؤها بالسائل الأزرق ثم يعرى ذراعه ويضغط فوق  
مكان الوريد نقطة من الجلد ثم يعرس الإبرة بمهارة وسرعة ويحقن نفسه

وراح يطر إلى ساعته وبعد مرور الثواني والدقائق

وبعد عشر دقائق كان يتجه نحو الآلة الهممية ثم يجلس على كرسيها  
ويوجه أنابيب الإشعاع الثلاثة ، واحدة إلى جهته ، والثانية إلى جانب من  
رأسه ، والثالثة إلى الجانب الآخر .. ثم يضغط على الأزرار فتصىء  
لأنابيب الثلاثة بوهج خافت ، ويدوى ذلك الأربير الرهيب .

وتحمد الدم في عروفي وأن شاهد ما يجري أمامي  
إبه يحرق نخرة الموت على عصبه  
إبه نفس السائل لدى حقن منه في وريد الرجل . ربما نصف الكمية  
ولكنه نفس السائل

وهاهو ذا يجلس مكانه ويسند الأشعة الرهيبية على محه  
هل بإمكانه أن يتحكم في مقدار حرعة الأشعة عن طريق هذه الأزرار  
إلى حوار  
أظن أنه بإمكانه أن يفعل هذا فهناك أكثر من عداد للأمبير والفولت  
على واجهة الجهاز

ورأته يدخل في نوبة تشنج فتصلب عضلاته كأعواد من حديد وتظهر  
في عيبيه تلك النظرة الهائلة من الدعر وكأنه يرى أبواب الجحيم تفتح أمامه  
ثم يدخل في عيبوبة كاملة يسترخى فيها كأنه في نوم عميق  
ثم سمعته يتكلم

كان يتكلم بنفس النبرات الهادئة الواضحة كما كان يتكلم حينما اعترته  
النوبة في عيادتي

وكان يتكلم باللغة الأساسية السليمة كما حدث تماماً في المرة الأولى .  
واستطعت أن أترجم ذلك الكلام الذي يوحه إلى دون ساستيان  
كميللو .

يا صديقي إن ما حدث في ذلك اليوم مارال محموراً في رأسي . لم تكن  
مباحاة لي أب يعجز الهم في الوقت والساعة التي انفجر فيها . لقد كنت على  
عم نكل شيء . وكنت أرى اللع أمدى . كنت أراه يعي هاتين



وتغيرت نبرته تماماً وكأنما قد لبسه شخص آخر .. شخص أجنبي النبرة  
لاهث الأنفاس .. هو دون سياستيان .

- لا أصدق .. يا إلهي .. هل يمكن أن يكون هذا معقولاً

هناك حالة نفسية لا يعرفها إلا من عاش في الحرب مدة طويلة ..  
حالة تستند بالحسد فإذا به يدفع ليلقي بنفسه إلى الهلاك وكأنما يحذوه دافع  
باطني إلى التخلص بنفسه من كل هذا الحزن .. فإذ به يدخل في خط النار  
ويمشي على الألغام ويسعى إلى الموت مفتوح الذراعين .

- دون ميجولو فارجا أنت دخلت بنا في حقل ألغام .. وأنت تعلم أنك  
داحل في حقل ألغام ؟

- نعم كنت أعلم .

- دون ميجولو فارجا أنت مقبوض عليك .

وسمعت ضحكة مجلجلة من دون ميجولو فارجا .

- تقبض على ماذا ؟ ؟ ! ! .. ألا ترى أي مقبوض على بالفعل في

جاكتة جيس وينطلون جيس منذ شهرين وأنا لا أحرك ذراعاً ولا ساقاً ! ؟

تقبض على الجيس لتضعه مرة ثانية في الجيس ؟

وعادت الضحكة المحلجلة تلوى مرعبة في الغرفة :

- وكيف ستنفذ أمر القبض يا جلاويش سياستيان كاميللو .. أنسيت أنك

تمام إلى حوارى مقطوع الذراعين في الجيس مثلي

وسمعت دون سياستيان يزار ..

- سوف أقبض عليك بأمر القانون

وعاد دون فارجا يضحك .

- القانون انتهى العمل به من زمان أيها الجلاويش .. أنسيت أننا هزمنا  
في الحرب .. وأن هناك قانوناً آخر الآن في الحكم .

وعاد يضحك ضحكته الباردة المرعبة .

- ما نظر جولك .. إذا الآن أسرى ولنا أبطالا .. وهذه الأعلام المرفوعة

ليست أملاً .. لقد انتهت مع الدنيا التي انتهت .

وسمعت زئير دون سياستيان ..

أنت مجنون .. مجنون .. مجنون ..

ثم تحول الزئير إلى عويل وأنبس وبكاء محقق وفترات متهدجة ..

- وما العمل .. وما العمل ؟

- سوف نموت .. سوف نموت .

وسمعت صراخ دون سياستيان .

- أنا لا أريد أن أموت .. أنا أريد أن أعيش . أنا أريد أن أعيش

واحتفى الصراخ ليتحول إلى نحيب مكتوم

وكنت أرى دميان يهتر بالشبح الذي يخرج من بين جنبيه .

كان من الواضح أنه مجرد أداة لهذه الأصوات العريية التي تخرج منه

بمجرد نوح .. أو راديوي .. أو أسطوانة .. أو شريط تسجيل ..

هل هي أرواح .

ومن هو دون كاميللو ودون فارجا ؟

هل لها وجود ؟

ورأيت رابع دميان يفتح عييه بظلم ويتلفته حوله . ثم يمد يده في

صعق فيضغط على مفتاح فينطلق الهمج المشع ويتوقف بالأزيز .

واكتشفت أن هناك جهاز تسجيل صغيراً كان يسجل ما يجري طول  
لوقت

وكان وجه دميان شديد الشحوب وعيناه حمراوين مثل كأسين من دم .  
ورأيته يجبل على ترموس صغير يفتحه ويخرج منه خرقة شرهة .  
ورأيته يدير جهاز التسجيل ويستمع إلى الأصوات التي سجلها في أثناء  
غيوبته ويدون ملاحظات في نوتة .

ثم يتشاءب ويقوم متعماً .. وينظر في ساعة يده ويمسح على جبهته ثم  
يطفىء النور ويخطو إلى غرفة النوم .

ولم أتحرك من مكاني حتى سمعت صوت باب غرفة النوم يغلق  
وكانت أول فكرة خطرت لي أن أسرق كراسة المذكرات ولكي خفت  
أن يتيقظ في الليل ويدخل المعمل فيكتشف السرقة : وربما استنده الخوف  
فهجر منبأه وفقدت أثره إلى الأبد .

ولهذا آثرت أن أترك كل شيء على حاله .:

واسحبت عائداً في خفة من حيث أتيت .

ومع أول نسمة من هواء الشارع البارد برق في ذهني خاطر .  
أن اتصل تلغرافياً بسفير مصر في أسبانيا ، وهو صديق عزيز ، أمأله كل  
ما يستطيع معرفته بشأن دون ميحولو فارحا ودون ساستيان كاميللو  
وهل كانا ضمن جنود الحرب الأهلية الأسبانية ومادا كان مصيرهما  
كان أملاً واهياً ولكني تعلقت به

وكانت الساعة العاشرة مساء تدق فوق رأسي وأنا أكتب آخر كلمة في  
تلغراف وأسلمه إلى موظف المكتب . والمطر يتزل زلزالاً في الشارع وأر

فود عرتني في طريق إلى البيت .. والشارع يلمع في انظر . وعقلي مسح في  
نصف فكرة وفكرة

هل أنا أهدى ؟

هل كان هذياناً كل مرأيت وسمعت . هل هو كبوس هل أنا  
أحلم ؟

ذلك الحديث بين اثنين لا وجود هم دون كاميللو ودون فارحا  
وهو حديث يبدو فيه أنهم يتكلمان من سريرين متجاورين في مستشفى .  
وأهما أسرى حرب . وأهما حرجي . وموضوعان في الحبس . وأهما  
بصارغان الموت

وأحر كلمة في الحديث هي صرخة دون كاميللو بأنه يريد أن يعيش  
من الواضح أن أسبانيا لا تحوض حرماً وأن الحديث هو حديث عن  
حرب انتهت . لعب الطل أنها الحرب الأهلية الأسبانية الحديث كله  
محرد ماض بعث حياً على لسان دميان لدى كان أشبه بوسيط

هل ممكن ؟

هل ممكن أن تعيش الأصوات في نحو هذه السوت حتى نخذ وسيب  
فتعود لتعت من حديد على نسا

أم أنها صرخة الإرادة متشئة بالحياة هي التي أعطت هذا ماضي الذي  
عدم رحمة الحياة من حديد

هل هي معجزة إرادة وصرخة إصرار ؟

وإرادة من ؟

إرادة رجل مات ومن المعروض أن تكون إرادته قد ماتت معه  
هل أنا أعود فأهدي من حديد ؟  
إبه لشيء مبرك حقاً



كنت أروح وأغدو في غرفتي التي أغلقت بابها .. ثم أعود فأجلس في  
فراشي .. ثم أقوم فأقعد أمام مكتبي .. ثم أعود فأخط بعض الحروف على  
لورقة .. أفكر وأكد ذهني ، وكأني أمام لغز من الكلمات المتقاطعة لا تلتقي  
فيه كلمة على كلمة . أحاول أن أستجمع الحقائق الغريبة المتناثرة في هذا  
الغز المتشابك .. من أول اليوم المشؤم الذي طالعت فيه وجه دميان .  
جريمة ١٥ شارع ابن الوليد بجدار القبة .

والجنة المتزوعة الرأس في مقابر الروم الكاثوليك  
والمخ المقطوع قطعاً طويلاً في حوض الفورمالين وقد نزع منه الجسم  
الصوري ، وذلك العدد من الأبخاخ المزينة في الأحواض  
أين رعوس أصبحها .. وأين جثثهم .. ؟  
ماذا يفعل ذلك المجنون بالآلة الجهنمية التي يسلطها على رعوس  
صحباها ؟

وأية أشعة رهية اكتشفها ؟  
وما هي تلك البحوث المريبة التي تجريها على الحيوانات الموية التي  
يستخلصها من ضمادع حية ؟  
وما هو السائل الأزرق الذي يستخدمه في تحاربه ؟  
وما سر الموية التي تستولى عليه ؟  
وما حقيقة الأصوات التي يهذى بها في يومه ؟  
عشرات الأسئلة وعلامات الاستفهام  
وأشد ما يفرغني إحساسى بأن الرجل في طريقه إلى هاوية  
ماذا يحدث لو أنه فقد عقله ؟  
معنى هذا أن تقطع صلتنا بالحقيقة إلى الأبد .  
كان لابد من وسيلة لاكتشاف كل شيء قبل أن يفوت الوقت ولكن  
كيف ؟  
كيف يمكن أن نعرف ما بداخل حشرة ؟  
كيف نكشف ما يدور في عقل ؟  
كنت أروح وأجىء في عصبية حيناً دق الباب ودخل الخادم يحمل  
تلغرافاً  
كان هو التلغراف المنتظر من آسانيا  
وقرأت الرد المكتوب باختصاراً شديداً .  
« دون سباستيان كاميللو مصارع ثيران مات في الحرب الأهلية الأسبانية  
ودون ميجولو فارجا لم يمكن التعرف عليه »  
إذن فهي الحقيقة .

لم تكن الأصوات هذياناً .. ولم تكن الأسماء اختلاق عقل مجنون وإنما  
هي أسماء للناس عاشوا بالفعل .  
وما دار من حديث هو تحصيل حاصل .  
لقد دار هذا الحديث ذات يوم منذ سنوات بين أسرى الحرب دون  
كاميللو ودون فارجا ، وهما يصارعان الموت في مستشفى بعد انتهاء الحرب  
الأهلية الأسبانية .  
وما فعله دميان هو أنه التقط هذا الحديث من العدم  
كيف تمت هذه المعجزة ؟  
عن طريق عضو مجهول من أعضاء المتح ، غالباً عضو معطل عندنا هو  
الجسم الصنوبرى .. استطاع دميان أن ينيه بقذائف الإشعاع وبالمادة  
الكيميائية التي يحقنها في الدم .. فإذا به يتحول إلى حاسة مرهقة .. عين  
داخلية ترى وتسمع من خلال الماضي .  
رأى يكشف شبكة الحوادث ويحرق حجب الزمن  
أمر يشير العجب حقاً !  
ولكن من يدري ؟  
ماذا لو فكرت دودة عنفاء أن في جهازها الغصني البدائي بذرة السم  
والبصر ؟  
ماذا لو فكرت أنها ذات يوم سيخرج لها جعدة لهم عيون وآذان .. لا  
شك أنها تعجب ولا تصدق .  
وكذلك حالنا نحن العميان بالنسبة للمستقبل .. لا نصدق أنه يمكن أن  
نرى في الزمان كما نرى في المكان .. وأن التاريخ يمكن أن يتحول بالنسبة لنا

في مسرح مرئي . وأن في محدة جهر عجب بمكر أن يستصعب المصطفى  
ويرى ما حدث فيه رأى العين  
به أمر مثله حقاً

بـ وجه يدي يبعث كثير يد قدر ما أن ينسج يصف رؤيته في هذه  
مضى . فبدي مصفى كم يرى الحصر . وسمع لأحدث في وقت وعبرت  
كم سمع لأحدث في أخرى حوت لأن  
بـ صبح كملائكة كالأبـ

وكن كيف بمكر ديك  
كيف بمكر أن أضع يدي على  
كف أصل في ما كشفه ديك برجل  
لا بد من حصة

وكنت عرف طريق جيد هذه مرد . فقد أحدث صاعاً شفت  
بـ شمع و صصع بـ مفتاحاً حصاً  
ودحت حسنة . وكان دمير في خارج  
وكان كل شيء في يعمل على حده

وكنت هناك علانية للحقير تعلى فوق سحان كهربائي  
ولاحضت وأن أضع يدي على جهر الأشعة أنه ساحر . مما يدل على  
أنه كان في حلة تشغيل مد مدته قريبة  
وقبل أن أفكر كيف حدث هذا كنت أسمع حطوة دميان على السلالم  
وصوت مفتاحه يدور في باب  
وأسرعت لأختفي وراء البارافان

ورأيت دميان يدخل وفي يده لفافة كبيرة  
ورأيت يصبغ اللفافة على المائدة ويفتحها  
كان بداخلها صندوق رجاحي فيه عكوت . وخدمت نيك عاكب  
صخمة التي تكثر من المدايق الاستوائية الحارة . وسرباً في يدني قشعريره  
لما أنظر إلى رأس الحشرة وإلى العيون العديدة الصغيرة التي ترفق بها  
وكان يخيّل إليّ أن هذه العيون ترمقني في مخبي  
وبين لحظة وأخرى كان العكوت يدور حول نفسه ويدبر رأسه المتعددة  
عيون كأنها قبة مرصدة فلكني . ويبطر إلى محتويات العروة  
وكنت أنحف في مكاني حين تقع عيوبه لكثيرة على . ولم تدم هذه  
اللحظات طويلاً . لأن دميان . وفي يده آلة تشريح عربية تشبه شوكة  
دنت فرعين . مالئت أن فتح الصندوق . وعرس الشوكة في حفة في ظهر  
لعكوت . وعشروط صغير قطع العكوت لحي قطعاً طويلاً  
ثم بدأ يعمل مشرطه في مهارة وسرعة في مسطقة الرأس  
وبعد لحظات كان يتزعج كتلة هلامية بيضاء كروية الشكل ويصعها في  
نوبه حصارها محبوس

ورأيت الكتلة الهلامية تدوب بالتدريج في المحلول لتتحول إلى مستحلب  
ص  
ورأيت دميان يشرع في إضافة عدة محاليل إلى المستحلب . ثم يصبغ  
لمريح في جهر يعمل بقوة تطرد المركزية ليفصل الرواسب وحده  
والمحلول الراشح وحده

وبعد دارة لجهر عدة دقائق رأيت يصبغ الرواسب في دورق رجاحي

ويصيف إليها قطرات من حامض كبريتيك مركز وكحول ، ثم يكمل الدورق  
إلى منتصفه بالماء المقطر ثم يبدأ في عملية أشبه بالتقطير . كان يصيف فيها  
قطرات من محاليل عدة

ومضى الوقت احتللت على تلك العمليات الكيميائية لكثرتها فلم أعد  
أستطيع متابعة تفصيلاتها خاصة أن أغلب المحاليل التي استعملها كانت  
محاليل مجهولة بالنسبة لي . كل ما همته أنه يعالج هذه الخلاصة معالجة  
كيميائية شديدة التعقيد .. ليخرج في النهاية بستيمرات قليلة من سائل  
أصفر .

ورأيت يتناول هذا السائل بأيد ضنية ليضعه في الأتوكلاف ثم يصط  
ساعة الأتوكلاف على وقت معين .. ثم ينظر حوله في راحة ويتشاءب ويعادر  
المعمل ذاهباً إلى غرفة يومه

كان يقوم بكل خطوة في هدوء وثقة . مما يدل على أنه يعرف سلفاً ماذا  
تعني هذه الخطوة .. للدرجة التي يستطيع فيها أن يترك المعمل ليذهب وييام  
وهو مطمئن أن كل شيء سيسير على مايرام  
ومضت دقائق .

وسكنت الحركة في غرفة النوم

وكان معنى هذا أنه نام .

ولم أستطع أن أقاوم فضولي .. فخرجت من محثي . وكان أول ما  
انجذبت إليه هي ساعة « الأتوكلاف » لأعرف على أي وقت ضبطها  
ورأيتها مضبوطة على العاشرة .

معنى ذلك أنه أعطى نفسه ساعتين راحة

ومعنى ذلك أن أمامي ساعتين قبل أن يلق جرس « الأتوكلاف »  
فيوقظه  
ساعتان .

وقت طويل .. ولكنه بدا لي في تلك اللحظة قصيراً جداً .  
نظرت إلى العنكبوت وإلى رأسه المشقوق .. وإلى الحفرة الشاغرة حيث  
كانت تستقر الكتلة الهلامية التي انترعها .

لم يكن مخ العنكبوت كما حيل إلى .. ولكن غدته اللعابية . لقد فتح  
دميان رأس العنكبوت ليحصل على غدته اللعابية .

كان هذا أمراً غريباً بالنسبة لي !

لماذا يتجشم دميان كل هذه المتاعب ليحصل على الغدة اللعابية  
لعنكبوت ؟

وفتحت كراسة المذكرات .

ومضيت أقلب صفحاتها .. وكانت أغلب الصفحات مكتوبة بشفرة  
كيبائية خاصة .. لا سبيل إلى معرفتها إلا بمعرفة مفتاح الشفرة .

وفي صفحة رأيت بعض عبارات بالقلم الرصاص :

\* خلاصة من براءم نبات الأكادينيا .

\* سرعة نمو البيضة الملقحة ( الجبين ) في محلول ملحي قلوي .

\* الهرمونات كعامل مساعد .

\* لا يمكن رفع درجة حرارة المحلول أكثر من أربعين درجة وإلا ماتت

جميع الحيوانات المتوية .

وكلمات أخرى مشطوبة لم أستطع قراءتها



كان من الواضح أنه يجرى محوثة في فروع مختلفة كل الاختلاف  
مسألة حيرتني عذبة الخيرة

حاولت أن أخرج محيط مشترك يمكن أن يربط العدة اللعابية للعنكبوت  
والحيوان المنوي بالبيضة المنقحة في الحنين بالفرع في نبات الأكاديبيا

أية رابطة يمكن أن تربط هذا المحيط ؟

عم . أية رابطة ؟

يبدو أن هناك خطأ بالفعل .

حيل إن هناك رابطة فجميع هذه الأشياء تشترك في صفة الحيوية  
وتم سريع

لرغم في النبات هو أكثر أحرار، اسببت حيوية وأسرعها نماء . وكذلك  
حيات . وكذلك العدة اللعابية للعنكبوت . فهذه الغدة هي التي تصنع  
المحيط التي يغزو بها العنكبوت بيته ، وهذا هو أكثر الأعضاء نشاطاً  
وحياة والحيوان المنوي هو الآخر يحمل بذرة التحدد والحياة في كيان  
نصوصي الضليل كأكثر ما تحمل حية نشطة

ب دميان بحث إدن في سر النشاط والحيوية والنمو والتحدد ، ويختار  
حمايته الحية ، فمن الأعضاء التي تتصف بهذه الصفات .

وهو يهدف من عمليات الاستخلاص الكيميائي العنوز على المادة  
الصخرية . المادة الباعثة للحياة والنماء والنشاط

به بحث عن المسح الصيغى للحياة

وفتح « الأتوكلاف »

كانت فيه عدة خلاصات مرفقة على كل واحد رفقها وحروف  
شعرة عن مصدرها

وفي دكن رأيت أسوية فيها للسائل الأرضى لدى حفره نفسه  
وتدوت لأسوه

وشممت رائحة عريفة

كان السائل له رائحة عريفة شبه رائحة الثوم

وبما كنت أنفحص السائل سمعت حركة ورفعت عيني لأفاحاً بدميان  
وفقاً أمامي

كانت عبيده حمراوين مثل كأس من دم . وحفوه ورمة . وخذ  
مستحقين . وشعره مشعشعاً وكان يحطو بسطء كأنه يتعلم المشى . ويكد  
يقع في كل خطوة

وكان يفتح فم ليحاول الكلام فلا يستطيع لصق . وكان يمد يده في  
دعر إلى الأسوية لى في يدي . وترنح شعثاه . وتصهر على حاسيه  
عوة .

ورأيت أنه يأخذ مساً صويلاً كأنه عطشان إلى هواء ثم ينهوى على  
أرض

أسرعت إليه كان يهت . ويهتج عييه ويعنفهم ثم يعيب لحظة  
عن وعيه . ثم يعود ينظر حواليه وبهمس

أنا لم أقتل أحداً . أنا قتلت نفسي الدين ماتوا لم أقتلهم ولكمهم  
ماتوا لأن عمرهم انتهى بعد أن عاش كل منهم مليون عام . ما كانوا  
يصلون من الدنيا أكثر من هذا . أيضاً عشت مليون عام . أنا رأيتك

منذ ولدت أول مرة .. أنت لا تعلم أنك ولدت مرات ومرات .. مرات  
كثيرة لا تعد ، وأنت عجز .. عجز .. عمرك مثل عمر الهرم الأكبر  
وبدأت عيناه تغيمان وبدأ يسرح ويهوى في عالم آخر وينظر إلى كأنه ينظر  
من خلالي إلى فراغ .



كان دميان في حالة عقلية عجيبة ، أشبه بالغيوبة ، ولكنها ليست  
غيوبة . بل هي قريبة من اليقظة والتفتح والشفافية والحلاء النصرية  
كان ينظر إلى الأشياء وكأنها تشع له عن معدن وأشكال غير أشكالها ..  
وكان ينظر إلى وجهي ويتسم كالأطفال ويهمس :  
- أنا ديك بأى اسم . أنت لك أسماء كثيرة أكثر من ألف اسم  
أنا ديك باسمك أيام الممالك . أم أيام الأتراك . أم أيام الخلافة العاطمية .  
تصور أن اسمك كان في يوم من الأيام « مهلول الحبي »  
وصحك .

ونخيل إلى أن الاسم يبدو مألوفاً بالرغم من غرابته .  
وأردف دميان وهو يتسم  
مهلول مهلول . تصور . أصلك كنت مهلول الخليفة . لمهلول  
دى تتشقلب أمامه لتضحكه . كنت قصيراً طول ذراعى هذا . نعم

وهذا أنت زرك أمامي الآن وأنت تتشقلب من (وعرق في لصحت)  
كنت صريفاً جداً ..  
ثم عاد ينظر بي في وقار

بذكور م . دود دكتوراه في جراحة المخ من برلين .. رجل علم  
محترم . بقف له كل من يراه .. أين هو من هلوب الخليفة تاريخ . كل  
ما تاريخ كل ما حكاية طوها مليون سنة . ألا تريد أن تعيش مليون  
سنة .. أنا عدتي أكسير من يأخذه يعيش مئونة سنة .. يعيش الماضي الذي  
مات . ويقلب صفحات كتاب الدنيا كله

ب . مع شيء عجيب

أنت حصصت في حرفة مع ولكن مثل كل متخصص لا تفهم  
شيئاً .. مع عالم كبير أرشيف فهرس مرجع شامل . كل يوم من  
يوم التاريخ مكتوب به ورقة في محك من لأ ..  
من مثله حناه كل يوم مدون ورقة بورقه  
هل تريد أن تقلب أوراقك ؟

هل تريد أن تعيش تاريخ كل الأزمان ؟

وسكت لحظة وأمسك برأسه بين كفيه وطهر على عينيه الألم .  
وعامت بصرته ثم عادوه للهث ورأيت حديقته تتسعد  
وخرجت الكلمات من فمه كالصغير الخافت المتقطع .

لا أمل .. أنا سوف أموت .. ! .. أموت . كل شيء يعيم أمامي  
الدنيا تصبح طلاماً .. النور .. النور .. دكتور داود .. الأكسير  
الأشعة ..

وأمسك برقبتة وهو يتلوى كأنما هناك أيد تخنقه وهو يصرخ في صوت  
كالفحيح :

أنا لم أقتل أحداً .. أقول لكم إنني لم أقتل أحداً .. أنا وهبت كل  
واحد مليون سنة .. مليون سنة .. القاتل الحقيقي هو أنا .. أنا الذي أموت  
الآن ولا أجد لحظة .. لحظة واحدة أعيشها .. دكتور داود الأكسير ..  
وتلقيته على صدرى وأطلق لساني الذي عقده بالفرع

- أين هو الأكسير ؟ ..

الأكسير ..

- ما هو تركيبه ؟

وسكت وأغمض عينيه على حين رحت أهزه في عنف وأصرح :  
- تركيبه .. أرجوك .

وخرجت كلماته مفككة :

تركيب .. ب .. ب .. ب ..

وألقي برأسه إلى الوراء ولفظ نفسه الأخير . مات ..  
لم أصدق ..

لمست عينه .. لم تطرف ..

كانت حديقته تلمعان كالزجاج . وتحملقان في الفراغ ..  
انتهت حياة دميان ..

مات آخر أمل من آمالي على شفته

ونظرت حولي في فرع ..

وأدركت الحقيقة الرهيبة كلها دفعة واحدة .

إني الوارث الوحيد للسر  
لأحد يعلم حياة دميان وموته سوى  
كيف أتصرف ؟

إني ساكن مع حثة في « فيلا » على الطريق الزراعي .  
ورأيت نفسي أفكر كطبيب .

إن الحصول على كلمة واحدة من دميان أصبح مستحيلاً ولكن  
ولكني أملك جسده .  
أملك محه

أستطيع أن أعرف نصرة مشروط ماذا حدث بداخل هذا المخ الذي  
أصبح يرى الماضي ويخترق حجب الزمن

ورسالتى كرجل علم تقتضى منى أن أفعل شيئاً .

وشعرت بالوقت يمضى وكأنه قطار مسرع تدهسى عجلاته .

كان لا بد من العمل بسرعة قبل أن تتيسر الأنسحة .

ونظرت إلى حقيبة آلات التشريح ، وإلى المشروط الذى كان يعبث في  
عسكوت مد ساعة مضت

وغلب فصولى العلمى على خوفى ، فتناولت المشروط وبدأت أعمل  
سرعة

واحتجت إلى منشار لقطع العظم

وكان في الحقيقة أكثر من منشار واحد .

لا شك أن دميان كان يقوم بهذه العملية كثيراً بدليل وجود هذه  
المناشير

وبعد ثلاثين دقيقة من العمل المحموم استطعت أن أصل إلى المخ .  
كان يبدو عليه الاحتقان . وكانت الشعيرات الدموية متعددة بشكل  
محموط

وكان أول شيء لاحظته حينما قطعت المخ طولياً أن الجسم العنبرى  
ثلاثة أصعاف حجمه الطبيعى .

واسترعته في حذر ووضعته في محمول ملهى .

كان السر كله كماً في هذه الترمسة الصغيرة

وشعرت أن الجزء الباقى من العمل هو أخطر الأجزاء ، أن أقطع مقاطع  
ميكروسكوبية في هذه الترمسة ، وأفحصها محصاً ميكروسكوبياً لرؤية  
تحويلات التى حدثت في خلاياها .

وكنت أتوقع أن أحد المعدات اللازمة ، فهذه عملية كان يقوم بها دميان  
بانتظام كل مرة

وكان توقعى في محه ، فقد وجدت في ركن جهازاً حديثاً لقطع المقاطع  
المطلوبة . وكأنما كان دميان يعلم احتياجانى كلها موضع كل شيء في متناول  
يدى .. وبدأت أقطع عدداً من المقاطع وأصبغها تمهيداً لدراستها تحت  
الميكروسكوب

وحينما وضعت عيني على عدسة الميكروسكوب لأرى أول مقطع .. كان  
المنظر الذى رأيته مظهراً مألوفاً .

كانت الخلايا أشبه بالخلايا السرطانية .

لا شك أن هذا المقطع هو نفس المقطع الذى رأيته في شقة ١٥ شارع  
بن الوليد تحت الميكروسكوب . وساعتها خيل إلى أنه سيحج حينى

لم يكن نسيجاً جينياً ، لقد كان شريحة من الجسم الصورى .  
هل هو سرطان ؟

لا ليس سرطاناً . بدليل عدم وجود انقسامات فى الخلايا .

وانما وجه الشبه بين السرطان وحيوية الخلايا ، وسرعة نموها ،  
وشدة قابليتها للصبغة .

إن الخلايا الجسم الصورى فى حالة انقاصه وشايط .. وهذا كل ما فى  
الأمر .

ولا شك أن دميان استطاع أن يصل إلى هذه النتيجة باستخدام الأكسير  
الذى أخذه حقناً فى الدم . وباستخدام التنبيه المتكرر بالإشعاع .  
كانت القصة قد بدأت تتضح

ولكن كيف كان دميان يستحضر أكسيره من خلاصات البراعم النامية  
وعدد العنكبوت والحيوانات المائية ؟

ماهى المعالجة الكيميائية بالضبط ؟

النوته تحكى التفاصيل بالشفرة .

ولا أحد يعلم مفتاح هذه الشفرة إلا صاحبها الذى سكت إلى الأبد .  
ولكن الأكسير موجود .

وربما أمكن تحليله والوصول إلى مكوناته .

وهناك جهاز الإشعاع .. الذى يمكن الوصول هندسياً إلى معرفة كنهه  
هناك أكثر من أمل .

ولكن كان هناك شيء آخر أهم من هذه الآمال بالنسبة لى .

اختبار أهم من جميع هذه الاختبارات الكيميائية .. هو الاختبار

الحى .

أن أحرب .

أن أجرب بنفسى هذه اللعبة

أن أعيش مليون سنة

أن أرى الماضى .

كانت الفكرة تفزعى . ولكنها تخدر إرادتى وتتسلط على حوامى .

نسيت كل شيء ، ولم أفكر إلا شيئاً واحداً

أن أتناول الأكسير ، وأتلقى ذلك الإشعاع السحري لأرى ما لم تره عين

وأسمع ما لم تسمع أذن .

أأكل من الشجرة المحرمة .. شجرة المعرفة .. وأدخل الجنة ابوعوده .

كانت الفكرة تخدنى تماماً . تسلبنى عقلى .

كنت كطفل أمام قطعة حلوى باهرة . يعلم أنه دماره فيها ولكن ريقه

يتحلب ليتذوقها .

وبفطرة لا تقاوم ، مثل فطرة آدم التى شدته إلى التفاحة ، وجدت

نفسى مشدوداً إلى مصرى .

كانت كل حواضر حياتى تلقى فى إلى ذلك السر

نعم .. كنت أريد أن أعيش « المليون عام » ، وأولد « المليون ولادة »

وأذوق « هذا الذى هو أشبه بالحلود .

ووجدت يدي تمتد إلى الحقنة تملؤها بالسائل الأزرق . وبدفعة خفيفة

من الإبرة فى الوريد .. كان السائل ينساب فى دمي ببطء ومع حركة السائل

في الدم كنت أحس شيء كالصارة ، انتعاش غامض . مثل ارتجاف الأوراق الخضراء في ندى الربيع ، نقطة . انتعاضة . شوة .. عنفوان .  
تفتح مثل تفتح الداعم

إحساس عريب طازج

صوة نحو كل شيء

كان كل شيء يبدو في عيني متألقاً حذائاً

هذا رحيق مستقطر من يابيع السعادة

ودقت ساعة الحائط الكبيرة

وتذكرت الدقائق العشر .

كانت أمامي عشر دقائق لأكون حاهراً لأتلقى الإشعاع

وأفادتني معلوماتي الطبية وخبراتي في المقاييس المترية للدماغ في ضغط  
براحل الجهاز وروافعه الدقيقة وفي توجيه أنابيب الإشعاع الثلاثة إلى أماكن  
المضبوطة من رأسي ، بحيث تلتقي حرم الإشعاع عند مركز المخ في الجسم  
الصورى

وأدرت مفاتيح عدادات الفولت والأمبير .

لم يبق إلا أن أصغط على المفتاح الأحمر فتبدأ النهاية .

وشوق لا حد له . وكأنني ألمس شفتي أجمل امرأة صغطت على  
منح

وتوهجت أنابيب أشعة المهبط بوهج خافت وارتفع أزيز مكتوم .

## 9

كان ما حدث شيئاً لا يمكن وصفه

كل قاموس الكلمات لا يسعني

حيث أقول إن الفرع استولى على فاه ليس الفرع المؤلف الذي  
عرفه ، ولكنه فرع آخر لا اسم له .

فرع أقرب إلى تبحر الدهر وتطير العقل ، وكأنما قد فتح ستر هدا عاء

محيف . تبه تصل فيه الخواص

سماء حمراء عبراء تلف كل شيء في عبرتها أرض تحتبط في ملامحها

ضلال أحر عديدة وحيال وأودية ، مدن عتيقة ، وشوارع مبلطة ، وحوار

مسقوفة . وناس في ملابس تاريخية ، وأصوات مختلطة

وأصاني هذا الانتقال المفجائي بالتشعيع وبعدد لسانى وفقدت النطق .

وفقدت الحركة ، وتحولت إلى عيين محمقتين مثل حمرتين من حسن تطران

في فرع



ولكن مضي الوقت بدأ يسيطر على شعور آخر مختلف تماماً عن الشعور لأول .

بدأت أشعر أن هذا العالم الغريب الذي أزيح عنه الستار ليس غريباً تماماً . وإنما هو عالم مألوف إلى حد ما .. أستطيع أن أعرف فيه على ملاحظته عالم أصيل حقيقي . أكثر واقعية من عالمنا المألوف .

بل إنني لأكد أسمى الأشياء أمامي مسمياتها .. وأكاد أستوقف الناس الذين يهرولون في مواكب لا حصر لها وأناديهم بأسمائهم .

هذا عالم أعرفه . وناس أعرفهم

هذا عالم عشته

كماداً أصفه لكم ؟

إنه أشبه بعالم متداخل . تتداخل فيه الصور وكأنها صور شفافة مرسومة فوق رجح . وموضوع بعضها فوق بعض .. تشف كل صورة عن الصورة التي تحتها

كل شخص يشف عن شخص آخر بداخله .. وهذا الآخر يشف عن شخص ثالث ورابع وخامس إلى ما لا نهاية .

ومثل ما تتداخل الصور تتداخل الأصوات والألوان .. وتتداخل الأحداث . وتتداخل الفترات الزمنية .. وتتداخل الأحقاب والعصور في عوالم مزدحمة كأنها الحشر . ورغم ذلك فهي لا تختلط على العقل وإنما تبدو مميرة متباينة .. وأعجب من هذا أنها تبدو مفهومة . وطبيعية . وكل فرد في هذا العالم لا يبدو فرداً واحداً . وإنما يبدو ألوفاً مؤلفة من

لأفراد والشحوص . مثل الصور المكررة في شريط سينمائي منظور إليه بالعين مجردة

إن ما تراه العين في هذا العالم ليس الفرد ولكن تاريخه .. إنها ترى حجمه ورمحه

والزمن في هذا العالم ليس يدرك بالدهشة وإنما هو بعد حقيقي تراه العين

وهو ليس عالماً حقيقياً . بل هو عالم حقيقي عالم يعرفني كما أعرفه .

هذا واحد في الزحام اللانهائي ينظر إليّ ويتسم .. ويناديني باسمي « إيزاك » .. نعم هذا هو اسمي « إيزاك » . أنا أعلم جيداً أن اسمي « إيزاك »

وهانحن نذهب معاً إلى حانة تحت ربيع قديم لنسكر الحانة أعرفها . والمكان أعرفه . والساق أعرفه . والكل يتسمون في وحيي استسامة الألفة والعشرة الطويلة .

وصديقي « ذكران » يتحدثني عن الجارية التي اشتراها من سوق النحاسة . ويحدثني عن رائحة عرقها . وعن فخدها الممتلئ . وأنا أضحك . وأشرب . ويحيى الشواء . والتوابل . وصديقي يقول : دق من هذه التوابل .. إنها من توابل البصرة اللذيذة .

وعلى باب الحانة نسمع صوت ترس وردد وصليل أسلحة .. ثم صرخة .. وأنين مجتئق .. وحطوات مسرعة ونقوم ونحن نترنخ

وعلى باب الحانة نجد فارساً مذبحاً يلفظ آخر أنفاسه .

وأميل عليه وأضع يدي على قلبه .

وأرفع يدي الملوثة بالدم لأجد على رأسي جندياً مدججاً بالسلاح يقول

. إيزاك اللعين . ياقاتل . يدك تقطران دماً

وأتلفت حولي .

لقد فر صديقي بجلده

إيزاك اللعين .. ياتاجر السم .. يالعة أهل بغداد !

أنا لست تاجر سم يا صديقي ، ساعحك الله . أنا تاجر عقاقير

- أهى عقاقير . أم أحجة أم رقى مسحورة باكافر يانجس .

- مالى أنا ومال السحر .. اتركنى يرحمك الله .. أنا راحل فارسى غريب

ولست من هذه البلاد .

الليلة تحمل ضعفاً على سجن القداحة بأبيها الفارسى الغريب وغداً تقف

أمام القاضى العادل « أبو قطافة » وبعد غد تذهب بإذن الله إلى القرافة .

أنا برىء والله العظيم

بأى عظيم تقسم أيها الكافر .

أنا برىء يا ناس .

- يا فارسى يانجس .

- أنا برىء يا خلق .

وأصرح فيه وأقبل يديه وقدميه وأنا أرتجف رعباً . ولا فائدة .

وفى سجن القداحة أقضى الليل فى الظلام والرطوبة والبرد الذى يتخلل

نظام . ومن حولي ديب هوام وحفيف أشياء تزحف . وأصوات

سعال وحشرحة ناس تموت

وفى الصباح أقف أمام القاضى أبو قطافة . ويشهد الجدى شهادة عيان

بأنه رآنى أقتل . ورأى يدي مخضتين دماً .. ويحكم القاضى على

بالإعدام ويصرب السيف عنقى أمام بوابة « أمية »

وأموت

ولكنى لا أنتهى .

وفى هذا العالم الغريب لا أحد ينتهى ، الكل يولد من جديد ويعيش

حياته مرات لا نهائية .

فأنا مرة أخرى فى دير البلح فى صحراء سيناء .. الأسقف « حين »

لأب الطيب الذى يفيض قلبه محبة .. حياتى صلاة وتعد . وطعامى من

التمر الحاف والشعير .. ونهارى الطويل أقضيه فى التأمل وسبحات العكر

والناس يسعون إلى من أطراف الأرض لأمنحهم البركة .

يا لها من حياة كلها سماح !

لا .. لم أكن أحلم

وحينما ضرب السيف عنقى أمام بوابة « أمية » لم يكن ما شعرت به

كابوساً . لقد كنت أعيش وأموت .. وكانت حياتى حقيقة ، وكانت آلامى

واقعاً .

وفى تلك اللحظات حينما كنت أتذكر نفسى - أنا الدكتور داود

كانت هذه الذكرى الشاحنة هى التى تبدو لى كالحلم ، يا لها من رؤى !

عشرات المرات أكتشف نفسى فى عشرات الأماكن بعشرات

الأسماء .. وفي كل مرة أخرج إلى الدنيا بشخصية مختلفة وكأني إنسان جديد كل الجدة .

الزمن جميعه أصبح ملكي وكأنه بويته فيلم أتفرج فيه على جميع اللقطات التي أخذت لي في جميع الأوضاع والأسماء .  
مئات السنين عشتها . وعاييتها يوماً يوماً . كل يوم له نصارته وحلاوته ومرارته . وكأنه أول وآخر يوم في العمر .

قابلت « ماتيلدا » الحميلة ذات العيون الحصر في سوق قرطبة ذات مساء وكانت تحمل سلة بها تين .

وتحت ضوء قمر أبريل الدافئ الخنون سرنا متخاصرين .

نحمل الأنسام وشوشاتنا .

مأحلى القفلة المحتلثة .

ولسة الأنامل المرتجفة حينما تعثر على بعضها

ودلك الخدر والدوار

وملمس الشعر ذى الحدائل

ورائحة الطيب

وهمس الجنان .

ماذا تفعل ظلة السيف حينما تطعن قلباً أحب وعشق ؟ لا شيء . لقد أحب وعشق . لقد عاش ملء وحوده . الموت لن يسلبه شيئاً

إسا سفق من ثروة أبدية لا تنفد

إن عمرنا ملايين السنين .

عمرنا من عمر النجوم

نحن لا نفقد شيئاً ، ليس هناك ما يدعو للعجبة ، ولا للحسرة .  
ولا للندم ، فالعمر طويل طويل أبدي والفرص لا نهائية  
كنت وأنا طفل أحلم بأنى أقوه الحيوش ، وأفتح الأمصار والأقطار  
وكان قسى يحقق طرباً وأنا أقرأ عن حينكير حاف وهابيل والإسكندر  
وتعذبنى الأمانى والآمال

لو أنى فتحت كتاب حياتى

لو أنى عدت إلى الوراء ، ورأيت ما أرى الآن

الحصار على أسوار عكا ، وعمار معركة « الحصن »

وبريق السلاح الأبيض . وأنا « اس خزاعة » أحارب وظهري إلى

الحائط وليس في جسدى مكان لم يرشفه خبجر . وبوابة الحصن تنهر تحت

طرقات المنحنيق . وحيشنا يطفر يتدفق داخلا كالطوفان أكاد أتحسس

مكان كل حرح في صدرى وكتفى وساقى .

والألم المبرح ينفذ في لحمى كالنار . تزه الطبول والأبواق وهتاف

الحدود

يا لها من دنيا مليئة !

كنت أفكر . وأتأمل في شروء حينما حيل إلى أن هذه لرؤى تباعد

تغرق في صباب كثيف ، وكأنما قد انسدت ستارة على المطر كنه فراحت

حجبه رويداً رويداً

وشيثاً فشيثاً بدأت أفض إلى ملامح جديدة هي ملامح معمل دميان

والكرسى الذى أحطس عليه . وأنايب أشعة المهبط . وسحار الأشعة

بروائعه وعداداته .

لقد توقف الجهاز من تلقاء نفسه .. وأفقت تماماً .  
كان الجهاز مضبوطاً ضبطاً أوتوماتيكياً على مدة اشتغال محددة  
ونظرت إلى الساعة الحائط ، واكتشفت أن نصف ساعة قد مضت منذ  
بدأت الجلوس أمام الجهاز .

معنى هذا أنى قد عشت مئات السنين في خلال هذه النصف ساعة ..  
في خلال ثلاثين دقيقة عشت كل هذه الأحداث التى تملأ مجلدات ..  
معنى هذا أنى كنت في عالم آخر له زمنه المختلف ومعايره المختلفة ..  
عالم .. الدقيقة منه تحفل بأحداث سنين .

إنه اكتشاف رائع .  
إننا سجناء دقائق مفلسة يمكن أن نعيشها سنين خصبة غنية إذا عرفنا  
كيف نخرج من أسرها لنخلق في أحواء ذلك العالم الآخر .

كيف نستطيع أن نحقق هذا ؟ ؟ ؟ !  
وكيف نستطيع البقاء في ذلك العالم الآخر إلى الأبد ؟ ؟ !  
سؤال لاشك أنه كان يشغل بال دميان فحاول أن يجيب عنه ..  
واستغرق في هذه البحوث الكيميائية محاولاً أن يصل إلى سر هذه الآلة  
العجيبة التى اسمها المخ

إن المخ أرشيف . فهرس . كما قال دميان ..  
سجل فيه . محضر كامل بما حدث في هذه الدنيا منذ بدء الخليقة مدوناً في  
لحايا ومكتوباً على لعائف الأعصاب

كيف نبعث هذا السجل الحافل . كما ستعيد ذكرياتنا اليومية في عقولنا  
كل لحظة .  
هذه المعجزة التى حاول أن يحققها دميان باستخدام أكسيره

## ١٠

كانت أمامي مهمة عسيرة .  
 أن أعرف تركيب الأكسير .  
 وفكرت أن أبدأ في تحليله منهجياً .. ولكن العقبة كانت في كمية  
 الأكسير الموجودة .. كانت كلها لا تزيد على عشرين سنتيمتراً .  
 معنى هذا أن أكتفى بقطرات لأجرى عليها اختباراتي . وهذا عسير .  
 وكانت هناك رغبة أخرى تنازعني .. هي رغبة حادة ملحة في الاستمتاع  
 بهذه الكمية لأعيش تلك الحياة المسحورة وأعود إلى ضباب الماضي ولذاته .  
 كانت كل قطرة في طياتها وعداً مغرياً بحياة طويلة عريضة حافلة  
 بالأحداث .

وكانت هذه الرغبة تتحول عندي إلى شهوة أكالة مهيمنة متسلطة أقوى  
 من شهوة المدمن إلى الأفيون .  
 وكان الضعف والتخاذل يستولي عليّ كلما مددت يدي إلى أنبوبة

السائل ، وكنت أشعر أنها أثنى وأعلى وأقدس من أن تبدد في أي غرض ،  
 ولو كان هذا الغرض هو اكتشاف حقيقة .. فأية حقيقة أثنى من الحياة ؟ !  
 إن هذه السائل الثمين هو وعد بالحياة لكل من يتعاطاه .. وأية حياة ؟  
 مئات السنين الحافلة بالمتع .

وأمام هذا الإغراء الأكال تحولت إلى إنسان سلب الإرادة . ممدود  
 الذراعين في تسول خاضع خانع يشتهي قطرة .  
 في دمي وفي فخاع عظامي نداء ذليل .

وفي قلبي فزع يراودني .

ماذا لو نفذ السائل ؟ !

كنت أشعر بسعار .

سعار أقوى ألف مرة من سعار الجنس في جسد فحل مراهق .

كراييج تلسعني .

وتذكرت دميان .. وهو يتجول في المقابر مثل الخفافيش مصاصة

الدم .. جرياً وراء هذه القطرات الملعونة .

إنه الجنون .

لقد أدركت سر نظرتة المجنونة وهو يقف أمامي في آخر مرة ينظر إلى

السائل في يدي .

لقد كادت عيناه تخرجان من مجريهما .

نعم .. لم يكن هناك مسيل إلى مقاومة هذه الشهوة المدمرة .

ورأيت نفسي أتحرك في خطوات مخدرة إلى أنبوبة السائل ، وأملأ الحقنة

وأحقن بها ذراعي وأنا أرتجف بنشوة غلابة .

وبعد الدقائق العشرة كنت أجلس في مكانى من الجهاز ، وأنضغط على  
المفتاح لأدخل مرة أخرى في تلك الغيبوبة المسحورة .  
وكانت كرايج حقيقية هذه المرة تلك التى نزلت على ظهري العارى ..  
وأنا أدير أنا وعشرات من العبيد رضى معصرة زيت ..  
متى .. وكيف .. ولم .. جاءوا بي إلى ذلك المكان ؟  
وفي أى عصر من عصور التاريخ الغابرة .  
ومن هو السيد الذى يخطر بيننا بحلة موشاة بالقصب ويدفعنى في  
ظهري صارخاً .. اشتغل يا كلب .  
ياإلهى .. ولكنى لست إنساناً ؟  
أنا ثور وعلى عيني عصابة .  
وأنا أخور كالثيران .  
وأنا أمشى على أربع .  
وأنا لى حوافر .  
وأنا آكل التبن .  
وجلدى سميك . وإحساساتى بليدة . ولا أشعر بفارق يذكر بين لدغ  
كرباج وضرب عصاً .  
واهتماماتى فى الدنيا قليلة . أن آكل وأشرب وأواقع الأنثى . أى أنثى .  
وذاكرتى لا يعلق بها شيء . فأنا لا أذكر شكل أولادى وأنا لا أحزن  
ولا أفرح . وإنما أجوع وأشبع على أكثر تقدير .  
وبعد الشبع أنام .  
وهو دائماً نوم عميق .

لا أحد منكم جرب نوم الثور .  
لو جربتموه لتقنتم أن تكونوا ثيراناً .  
إنه لشيء فريد . ذلك النوم الذى يتحول فيه الواحد منا إلى قالب  
طوب .  
إن قلوبنا تقشعر حينما تتصور ذبح ثور . ولكنه ليس أمراً مؤلماً بالقدر  
الذى نصوره .. إن ألم الضرس أشد منه .  
إن ما أحسست به ذات يوم حول عنق حينما ذبحونى كان ألماً بليداً لم يدم  
إلا فترة قصيرة .. ثم انتهى كل شيء .  
لا لم ينته .. فلا شيء ينتهى فى ذلك العالم .. أبداً .  
فها أنذا مرة أخرى أعيش .  
لست ثوراً هذه المرة .  
ولا أعرف بالضبط من أنا .  
كل ما أعرفه أنى فى غابة ، وأن الغابة مليئة بالأشجار ، وأن الأشجار  
هائلة الحجم ، وأن الأرض تغطيها المستنقعات .  
مستنقعات .. مستنقعات فى كل مكان .  
ولا صوت حولى سوى صوت الرياح .  
والأمطار تسقط بغزارة ، والجو يقطر بالرطوبة .  
ومياه المستنقعات دافئة ، ويخرج منها من وقت لآخر غازات فسفورية ،  
وأوراق الأشجار غريبة الشكل أشبه بأوراق السرخس المنقرضة .. ولا توجد  
مخلوقات .  
ولا شيء يذكر يحدث حولى .



والزمن يمضي ببطيئاً ببطيئاً .. وكأنه لا يوجد شيء اسمه زمن .

وعندى إحساس رهيب بالخواء .

يا إلهي .. إني شجرة .

لعلها مئات السنين تلك التي كانت تمضي ، لأن ستار الضباب عاد  
فانسدل على المنظر كله مؤذناً بانتهاء التجربة .

وبدأت أفيق من جديد على مكاني من الكرسي في معمل دميان . وقد  
انقضت نصف الساعة .

كانت تجربة عجيبة .

\* \* \*

تركت الجهاز ..

وجلست أكتب مذكراتي وأنا ألث خشية نسيان ما رأيت ..

كنت أريد أن أسجل كل دقيقة عشتها في ذلك العالم المسحور .

ولاحظت بجانب عيني وأنا أكتب أن السائل لم يبق منه إلا نصفه .

ولاحظت ملاحظة أخرى أفزعني .. أن النصف الباقي من السائل قد

تغير لونه من الأزرق إلى الأخضر .

ليس اللون فقط .. بل الرائحة أيضاً .

لم تعد له رائحة الثوم .

لقد أصبح شيئاً آخر .

لقد فات الوقت .. ولم يعد من الممكن معرفة تركيبه .

لقد تحلل إلى مركب جديد .

ولاشك أن خواصه قد تغيرت أيضاً .

وكان خاطراً مفزعاً أن أتصور أنه لم يعد فعلاً ، وأنه لم يعد من الممكن

أن يؤثر في المخ كما كان يؤثر في الماضي ، وأن العودة إلى ذلك العلم المسحور

قد غدت مستحيلة .

وما بقي لي من عمر سوف أقضيه سجين هذه الدنيا المقلسة .

لم يعد هناك مخرج .

لن أجد مهرباً من هذا العالم الغليظ .

لن أستطيع التحليق خارج الزمان والمكان .

كان تصديق هذا الخاطر شيئاً فوق احتمالي .

وأسرعت أهلاً الحقنة وأحقنها في ذراعي .

كنت أريد أن أطمئن .

\* \* \*

كانت هذه آخر ورقة كتبها الدكتور م . داود في مذكراته .. فقد عثر

عليه بعد ذلك بساعات ميتاً في معمل دميان .

وكان المعمل يحترق إثر شرارة كهربائية مجهولة المصدر ، وكل الأجهزة

قد اشتعلت فيها النيران .. لم تبق منها إلا هياكل فحمية .

وقال الطبيب الشرعي الذي فحص البقايا المحترقة في تقريره عن

مذكرات الدكتور م . داود .. إنها مذكرات عجيبة .

وحينما سأله وكيل النيابة :

- ماذا تعني بقولك إنها مذكرات عجيبة ..

ظهرت علامات الحيرة على وجه الطبيب وأردف قائلاً :

- كل ما هو مكتوب في هذه المذكرات عن الجسم الصنوبري .. وعن

الحيوية في . البراعم ، وفي خلايا الجنين ، وفي غدد العنكبوت  
والأكتوميسين ، يمكن أن يكون صحيحاً من الناحية العلمية ولكن  
- ولكن ماذا ؟

- ولكن الأمر كله يبدو غير معقول . هل يمكن أن تتصور أنك تعيش  
حياة أبدية ؟

وبدا الارتباك على وجه وكيل النيابة وأجاب في صوت خافت .  
- نعم إنه شيء غير معقول . إنه الجنون بعينه .  
ثم أردف وقد خفت صوته أكثر .

- ولكن . من يدري . وهل نعرف نحن كل شيء في هذه الدنيا . . إن  
كل ما نعيشه بضع سنوات في زمن لا أول له ولا آخر .  
ماذا نكون نحن في عمر الدنيا حتى ندعى الإحاطة بكل شيء . هذه  
دنيا كلها طلاس .  
كلها طلاس .